

الفصل الثالث

كيف ندعو الناس

قال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ (١٠) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ ﴿١١﴾ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللّٰهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِيْ أَدْعُوْا إِلَى اللّٰهِ عَلَى بَصِيْرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْنِيْ وَسُبْحٰنَ اللّٰهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ ﴾ (١٣) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيْ إِلَيْهِمْ مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوْا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَّشَاءُ ۗ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِيْنَ ﴿١٥﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۖ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيْلَ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٦﴾ ﴿ [يوسف] .

القسم الأول

تنوع الخطاب

تميز الخطاب الإسلامي المعاصر بميزات أخرت وصوله إلى الناس ، إذ إنه عبر تعبيراً دقيقاً عن المبادئ والأهداف التي تبنتها الجماعات وكل جماعة أو فئة من الدعاة خاطبت الجماهير بلهجة خطابية واضحة سواء أكانت مكتوبة أم

مسموعة ، حتى أن لهجة الخطبة ظهرت بوضوح فى الأحاديث التى تمكن دعاة الإسلام من بثها فى الأجهزة المرئية كالتليفاز مثلا ، أو حتى الأفلام التى تتحدث عن فترة التاريخ الإسلامى أو بها لكنه دعوة أو عرض لأفكار ربما تظهر بين الحين والآخر .

وتجاهل الخطاب الإسلامى تماما نوع المخاطبين . فخطيب الجمعة مثلا لا يعرف من بالمسجد ولا يعرف أفكارهم أو اتجاهاتهم أو آراءهم ، وغالبا ما يندد ويتوعد بجهنم الذين جاؤوا ليحضرُوا صلاة الجمعة ، ولم يَقم أى خطيب بمحاولة معرفة المستمعين ، خاصة أن الخطباء ينتقلون من مسجد إلى مسجد ، ولكن بعضهم يبقى ثابتا فى مسجد ولسنوات طويلة ، وحتى عندما يثبت هذا الخطيب ، فإنه يكرر نفسه مستغلا المناسبات الدينية ليتحدث عنها بعيدا عن كل ما يحيط به من أحداث .

ولعل الخطيب المرغوب فى أقاصى العالم الإسلامى وأدانيه هو الذى يتهجم على الحكومات والمسؤولين مهما كان هو أو كان الحكام والمسؤولون ؟؟؟ وإذا كان هناك من بيان أو خطاب موجه للناس للحديث عن أمر من أمور البلد الذى يعيش فيه الدعاة ، فإنهم لهجة الخطاب غالبا ما تكون موحدة للناس جميعا على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم وأفكارهم ، والسبب المباشر لهذا أن خطيب الجمعة الذى كان يُخطب فى بداية القرن - على جهله وتخلفه - كان تحت الرعاية والحماية الحكومية المسلمة من جهة ، ويخاطب عوام الناس على أنهم على الأكثر أكثرية مسلمة .

التجزئة حولت المفاهيم هذه إلى تضاد ، فأولا ليس هناك حاكم مسلم يحمى الدين ويلدود عنه ، إن لم يكن عدوا له ويتبنى عقائد غيره . ثم بروز الأقليات التى أخذت تتزاحم فى مواقع المسؤولية سواء أكانت طائفية - بعض الطوائف الإسلامية التى كانت تعتبر شاذة أو ضالة - أم بروز النصارى واليهود أم حتى

الوثنيين فى نسب تتزايد فى كل دولة ، والتجزئة أصلا وجدت لبروز هذه الأقليات وإيصالها إلى مواقع الحكم والسلطان ، وما زال الخطيب يحاول أن يتصور أن العالم الإسلامى وحدة متكاملة سياسيا واقتصاديا وثقافيا وسياديا وقوة ، ولم يع بعد الواقع الأليم الذى يعيشه المسلمون فى هذا الوقت .

ومن هذا المنطلق فإن تشويش المفاهيم أدى أيضا إلى تشويش الخطاب الإسلامى للناس . وما زال الدعاة يعتقدون بأن كل من حمل اسما إسلاميا فهو مسلم يغار على دينه كما يغار هو ، ويحمل همه كما يحمله هو دون الالتفات إلى الغزو الفكرى المنظم الذى يحا من عقول الناس الكثير من المفاهيم الإسلامية والمقاصد الإسلامية . بل إنه هوى بهم إلى مدارك الشرك أحيانا وربما الكفر أحيانا أخرى ، وقتل الدعاة وتشريدتهم فى أغلب الأحيان .

من هذا الواقع الذى تعيشه أمة الإسلام ، والتى أوضحنا الكثير من معالمها فى الوقت الحاضر ، لا بد من تنوع الخطاب الإسلامى ، وعدم العزف على وتيرة واحدة ، أو سلوك درب واحد . صحيح أن الإسلام هو الإسلام وأن الدعوة واجبة الأداء ، لقيت صدا أو قبولا ولاقى الدعاة معها القبول أو الرفض أو حتى القتل أحيانا ، وبأننا نملك الرصيد القوى والواسع من المسلمين وتعدادهم ١٦٠٠ مليون ؟؟! ولو التقوا لكانوا أعظم قوة فى العالم بلا منازع ، ولكن الواقع أن هؤلاء يشكلون ٦٤ دولة مستقلة لها أعلامها (راياتها) فى الأمم المتحدة فلنا ٦٤ / ١٨٢ ، أى : ثلث أعلام الأمم المتحدة . وهم يمثلون فقط ١١٠٠ مليون ، ويأتى بعد ذلك ٥٠٠ مليون مسلم تحت ظل الدول الأخرى وعددها ١١٨ دولة يتفاوت وجود المسلمين فيها ما بين فئات الملايين وعشرات الأفراد . فى الصين مثلا ١٢٥ مليون مسلما ، فى الهند ١١٥ مليون مسلما ، فى روسيا ٢٥ مليون مسلما ، وينتشر المسلمون فى قارات أوروبا وأمريكا وأفريقيا وغيرها من الدول ، هذا من حيث التوزيع والولاء والمسميات

المختلفة ، ولكن الالتزام هو الأصل ، ومع كل ما نرى من مظاهر الكفر والشرك والبعد عن الإسلام ، فإننا ما زلنا نعد ١٦٠٠ مليون نسمة .

ولقد كان أيضا من مساوئ التجزئة الكثيرة والكثيرة جدا ، هو اختلاف القوانين والأهداف والولاءات والاتجاه والرأى والفقر والغنى وغير ذلك ، مما يجعل كل دولة تقوم نفسها بكل احتياجاتها ومطامعها وأهدافها ولغتها وسبيل طريقها ومصيرها . وكذلك فقدان التنسيق بينها إن لم تكن العداوة . وقبولها ورفضها للخطاب الإسلامى على المستوى الشعبى أو الحكومى . ومن هنا فإننا ما زلنا نحن المسلمين والدعاة منا نخطب الناس على مستوى واحد وبشكل واحد وبيان واحد .

إن تنوع الخطاب الإسلامى ضرورى لاختلاف الألسنة والأفكار والعقول والاتجاهات ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [هود : ١١٨] ، ولكن الله تعالى جعل الناس مختلفين فى الخلق والتكوين والأعمار والعلم والإيمان والجهل والفضل ، ولذلك فإن تنوع الخطاب الإسلامى يجب أن يصل إلى كل واحد على قدر مداركه ومعرفته وعلمه . وليس معنى هذا أن نجعل داعية لكل واحد أو عدة دعاة ، فإن هذا ليس هو المطلوب ، بل المطلوب هو أن الناس - مع اختلاف تكوينهم - منفردون ، فإن أمورا كثيرة تجمعهم ، وهذه الأمور هى التى تطرح عادة ، فيتفق عليها مجموعة من الناس ويختلف عليها آخرون ؛ ولذلك فإن الله تعالى أرسل أنبياءه تترى على فترات طويلة لأقوام مختلفين حتى يبين لهم الحق من الباطل ، ويجتمع عادة رجال على الباطل وإناث ، وتجتمع على الخير نساء ورجال أيضا.

ولذلك فإن فى طبائع الناس أمورا موحدة وصفات متوافقة ، ومجالات يعرفها أناس ويكفر بها آخرون . تحت عنوانين رئيسيين تحيا البشرية تحت راية الخير ، وتحت راية الشر . وجعل الله تعالى فى الطبائع أمورا متوافقة - يتفق عليها أناس -

وأموراً متنافرة - يتفق عليها أناس آخرون - وتحت هذه المظلة أو هاتين المظلتين أموراً محددة جداً تنطبق صفات إنسانية معروفة ومحبة للناس منها : الصدق ، والأمانة ، والوفاء ، والسلام ، والمحبة ، والنجدة ، والكرم والفضيلة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكل فضيلة حسنة يقبلها الناس بفطرتهم ، وهى كل ما جاء به الإسلام .

وأرسل الله تعالى رسله على فترات ، وأمرهم أن يتعاملوا مع أقوامهم بما يعرفون عنهم ، ولذلك فإن الله قد أرسل لكل أمة رسولا وعدة رسل يخاطبونهم بمفهوم الخير ، ليتعدوا عن الشر ، وينقسم الناس بين مؤيد ومعارض ، وكانت مهمة الرسل عليهم السلام الصبر والعمل الدؤوب لينقلوا الناس إلى مصاف الخير ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [٢٥١] وَلِلَّهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٢﴾ [البقرة] .

أولاً : أسلوب القرآن الكريم فى تنوع الخطاب :

تنوعت أساليب الخطاب فى القرآن تنوعاً واضحاً وتجلى ذلك بالنداء الذى نادى به الأفراد أو الفئات كل حسب ما يكلف به ، وكان الخطاب عاماً فى بعض جوانبه ، وخصوصاً فى جوانب أخرى . والعمومية أيضاً تنوعت ، فهناك عمومية الناس جميعاً ، وهناك عمومية خاصة بفئة أو جماعة أو طائفة ، والخطاب الخاص أيضاً عن مجموعة من الناس ذات صفات وحدود معينة ، وأفراد وأسماء بمسمياتها . ونسوق بعض الأمثلة على ذلك ، وارتباط النداء بالتكليف

الذى ورد بعده أو بالأمر الذى أمره الله تعالى للفئة أو الفرد المخاطب ، وتنوع النداء أو الخطاب بشكل ملحوظ واختلاف اللهجة والمقصود من الخطاب .

أ- الخطاب العام: إن الله - تعالى - قد وجه للناس كافة نداء فى القرآن الكريم كعموم الناس وخصوصهم ، وعلى اختلاف توجهاتهم وأفكارهم وأحوالهم : ويرتبط النداء بما فطر الله الناس عليه ، أو على جميع ما فى حياتهم من عموم التوافق بين الناس جميعا . ومنها: قوله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة] .

وقوله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات] .

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة] .

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ ۚ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ ۚ وَمَا كَانَ لِلَّهِ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة] .

﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [البقرة] .

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى
وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ
فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا
الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُم وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة] .

﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ
وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء] .

﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ
قَدِيرًا ﴾ [النساء] .

﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَتَأْمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ
وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء] .

﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [النساء] .

﴿ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ إِذَا هُمْ يَبْتَغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا
بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ۖ مَتَّعَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس] .

﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس] .

﴿ قُلْ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّنُكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس] .

﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَتَرَى النَّاسَ مُجْدِلِينَ فِي اللَّهِ بَغِيرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلُّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٌ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنَبِّئَنَّ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾ [الحج] .

وآيات أخرى كثيرة ، ويختص النداء العام بالعمومية التى توافق مختلف الاتجاهات ومختلف الأفكار وتؤكد على ما يشترك به الناس جميعا ، فدعوة

التقوى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُوا رَبَّكُمْ﴾ وجهت للناس عموما وللمؤمنين وحتى النبي ﷺ : فالمطلوب عندما يصدر الخطاب الإسلامى مراعاة هذه العمومية ، ولا يعرض خصوصياته على عموم الناس ، فإن كثيرا من الناس قد لا يهتمون تماما بما نريد نحن المسلمين ، ونرى أن كثيرا من الآلام التى يعيشها المسلمون لا تهتم إلا طائفة معينة . لكن عندما نعمم على العالم ونؤكد على أن مشكلتنا هى نوع من الآلام التى يشترك فيها جميع الناس على اختلاف ثقافتهم وحاجتهم ، وقد لا يكونون هم سبب هذه المشكلة وصانعوها .

ويلحق بالناس نداء آخر يعم الناس جميعا باعتبارهم أبناء آدم ، فكان النداء لهم أيضا فى بعض الآيات:

قال الله تعالى: ﴿يَسْبِيْءَ ءَادَمَ قَدْ أُنْزِلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوَءَ بَشَرِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ ﴿يَسْبِيْءَ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَءَ مَتَرِهَمَ ۚ إِنَّهُ يَرِنُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف] .

وقال تعالى: ﴿يَسْبِيْءَ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رِبَى الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا

بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَنًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمُونَ ﴿٢٠﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٢١﴾ يَنْبِئُ آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٢﴾ [الأعراف].

أما النداء العام الخاص فقد كان أكثره للذين آمنوا وقد أحصى خمسة وثمانين نداء للمؤمنين .. يأمرهم وينهاهم ، ويدعوهم ، ويهديهم ويحذرهم ، ويبشرهم ويضع لهم أسس دينهم ودنياهم وآخرتهم ، وعلاقتهم فيما بينهم وبين الآخرين ، إن نداء ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ، والذين حظى بهذا الكم الكبير من الآيات إنما هو دعوة الذين آمنوا إلى الطريق الذي يريده الله تعالى للمؤمنين .. ولم ترد يا أيها المسلمون ، لكنها كلها تقريبا ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ . والملاحظة الثانية المهمة جدا في هذا المقام ، هو أن هذه النداءات نزلت كلها في المدينة أثناء بناء دولة الإسلام ، وتشكل جماعة المسلمين أو أمة الإسلام . ولم يرد أنه ورد في مكة إلا خطابا واحدا هو: ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [العنكبوت: ٥٦]. ويعتبر هذا النداء من الله تعالى إليهم مباشرة لبناء دولتهم وتشكيل مجتمعهم وتفهم دستور الإسلام الذي ارتضاه الله للناس ، وتفهم دين الإسلام الذي نسخ الديانات السابقة وأبطل العمل بها على الرغم من أنها عبارة عن موروثات محرفة مشوهة .

ولذلك كثر خطاب ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ لجماعة المسلمين الذين أصبحوا أمة في المدينة من دون الناس. ونرى بعض نماذج من هذا النداء فإنه مختلف ، يا عبادي: ولنحدد معنى نداء: يا عبادي ، فهم المؤمنون تماما ، مثل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ومن المعنى الذي سندرك بعضا منه يتبين أن نداء: ﴿يَعْبَادِي﴾

هو من الخصوص العموم وليس عاما كما يتبين من أن الناس جميعا عباد الله تعالى . قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة] وبعد الاستثناء لإجمال المؤمنين بالله تعالى من غير المسلمين أنهم يشاركون المسلمين فى صفاتهم وأحوالهم ومصيرهم . قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّاتِ مِنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة] .

- قال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة] .

- وقال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة] أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ۖ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينَ ۖ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُمْ ۚ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ ۖ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة] .

- وقال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [البقرة] .

- وقال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيَمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيَمْلِكْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْب الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلٍ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَجَرَّةٍ حَاضِرَةٍ تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسَوْفَ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢٢﴾﴾ [البقرة (١)].

- وقال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران].

- وقال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿١٢٤﴾﴾ [النساء].

(١) البقرة: ٢٨٢ وهى أطول آية فى القرآن الكريم ، وتعرف بآية المداينة ، وهى تنظم العلاقة المادية بين المؤمنين وتدهم على الطريق الأفضل للتعامل المادى بينهم .

- وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شَهِدَاءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ؕ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّٰهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ؕ وَإِنْ تَلَوْدَا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝﴾ [النساء].

- وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ؕ أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلّٰهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ۝﴾ [النساء].

- وقال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ؕ وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ يَهْتَدُونَ ۝﴾ [آل عمران].

- وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَدْلَةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ؕ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ؕ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝﴾ [المائدة].

- وقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ ؕ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝﴾ [المائدة].

- وقال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تَحِيزَةٍ تُنَاجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ إِلِيمٍ ﴿١٠٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الصف] .

- وقال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُوْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَرَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٤﴾﴾ [المتحنة] .

وتتوالى هذه التوجيهات للمؤمنين ليؤدوا ما أمرهم الله تعالى به فى هذه المواقع الكثيرة التى لم تذكر . أما من مرادفات هذا النداء أيضا هو أن الله تعالى قد سمى العبيد المؤمنين باسمهم وناداهم يا عبادى .. ووردت معان أخرى بغير قوله تعالى : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الحجر] ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء] ، ويتجلى ذلك واضحا بقوله تعالى فى سورة الزمر: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [الزمر] ، وقوله تعالى فى

نفس السورة: ﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر] .

ومن أشكال الخطاب العموم الخصوص خطاب الله تعالى لأهل الكتاب أيضا يبين لهم ضلالتهم وخروجهم عن طريق أنبيائهم ، ودعوتهم إلى الهدى واتباع الرسول ﷺ ، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَاهِلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [١] يَتَاهِلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [٢] [آل عمران] وفي مجريات خطاب أهل الكتاب وأيضا وفي نفس السورة يقول الله تعالى: ﴿يَتَاهِلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تُشْهَدُونَ﴾ [٣] [آل عمران] .

وقال تعالى: ﴿يَتَاهِلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَعَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَنَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [٤] [النساء] .

وقال تعالى: ﴿يَتَاهِلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا

مِمَّا كُنْتُمْ تَخْفَوْنَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٩﴾ [المائدة] . وفى نفس السورة آية ١٩ يقول الله تعالى: ﴿ يَتَاهَلُ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة] .

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابُ هَلْ تَعْمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [المائدة] .

وقال: ﴿ قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابُ لَسْتُ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة] .

وقال: ﴿ قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة] .

لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ [المائدة] .

ومن العموم الخصوص ، خصوص بنى إسرائيل من أهل الكتاب ، فمع أن الآيات السابقة التى اخترتها بصيغة النداء فإن أهل الكتاب فى القرآن الكريم تتوارد أخبارهم باستمرار وفى أكثر من سورة ، ولقد خص الله تعالى بنى إسرائيل من أهل الكتاب بثناء خاص لأنهم هم أهل الدين الأول: اليهودية ، ويدعون

انتسابهم زورا وبهتانا إلى الحنفية دين إبراهيم ، فقد جاء نداء الله تعالى وتوجهه بالخطاب إليهم ليبين ضلالتهم وغضب الله عليهم وقتلهم الأنبياء بغير حق ، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨١﴾ * لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۚ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيَّ ذَلِكَ بِأَنْ مِنْهُمْ قَسِيسِينَ وَرُهَبَانًا وَأَنْهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [المائدة] .

وجاءهم نداء من الله - خطاب - خاص بهم في كثير من الآيات نذكر بعضها منها في هذه العجالة ، فقد وردت ثلاث آيات مبتدئة بقوله تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي وَأُوْفُوا بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿١﴾ ﴾ [البقرة] .

فالأولى: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿١﴾ ﴾ [البقرة].

والثانية: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَلِيَّ فَضَّلْتُكُمْ

عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٨﴾ وَإِذْ تَحْيَسُّونَ مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴿ [البقرة] .

والثالثة: ﴿ يَنْبِئِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنَّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٨﴾ ﴿ [البقرة] ، ويلاحظ التقارب بين هاتين الآيتين الأولتين بعد التوافق بالآية الأولى.

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَنْبِئِي إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۚ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿ [المائدة] .

وقال تعالى على لسان عيسى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَنْبِئِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿ [الصف] .

وفى هذا السياق جاء نداء الأنبياء لأقوامهم الذين خالفوهم ووقفوا فى

وجه دعوتهم ، وكان الأنبياء ينادونهم ليلغواهم رسالة الله - عز وجل - وكل نبي أرسل إلى قومه بين لهم رسالته وبين لهم الطريق الذي أراده الله تعالى لهم ، ونرى أن فحوى الخطاب هو الدعوة إلى ترك العادات التي كانوا عليها - عادات السوء والفحشاء - وتجنب هذه الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وكذلك تبيان الحق والهدى ، والنصح لهم وإرشادهم .

قال تعالى: ﴿ وَيَقَوْمٍ لَا تَحْمِلُ مَنَّا شِقَاقَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود] .

وقال: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَنَّا إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَنَّا إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يَنْزِلُوا عَلَيْهِمْ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٣﴾ قَالَ يَتَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَاهُونَ ﴿٤﴾ وَيَقَوْمٍ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۖ إِنَّهُمْ مُلَقَوْنَ رَبَّهُمْ وَلَيَكُنِّي أَرْكَكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿٥﴾ وَيَقَوْمٍ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ ۖ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [هود] .

وقال: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۖ قَالَ يَتَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾ [هود] .

إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرْنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴿ [هود] .

وقال: ﴿ ٥١ ﴾ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقَوْمِ آعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ يَنْقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَاتَنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٥٤﴾ وَيَنْقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٥٥﴾ ﴿ [هود] .

وعلى لسان لوط عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٦٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَحْزُونِ فِي ضَيْفَى ۖ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٦٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ ﴿٦٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٧٠﴾ ﴾ [هود] .

وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَبْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أُرْسِلُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ۝٤١﴾ وَيَبْقَوْمِ أُوفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝٤٢﴾ بَقِيتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيضٍ ۝٤٣﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ أَصْلَوْتَك تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ۖ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ۝٤٤﴾ قَالَ يَبْقَوْمِ ارْءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۖ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَيْتُمْ عَنْهُ ۖ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝٤٥﴾ وَيَبْقَوْمِ لَا تَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِّثْلُ مَا أَصَابَ نُوحٌ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ ۚ وَمَا قَوْمٌ لَّوِطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ ۝٤٦﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝٤٧﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِيْنَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْ لَا رَهْطُكَ لَرَجَمْتَنَّكَ ۖ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ۝٤٨﴾ قَالَ يَبْقَوْمِ ارْهَطِي ۖ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۝٤٩﴾ وَيَبْقَوْمِ اْعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۖ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ مُّخْزٍ بِهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ ۖ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ۝٥٠﴾ ﴿ [هود] (١) .

(١) انظر أيضا: سورة المائدة ، الأعراف ، القصص ، العنكبوت ، الروم ، غافر .

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ٥١﴾ [الصف] .

وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ٥٢﴾ [البقرة] .

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَّا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ٥٣﴾ يَنْقُومِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمَقْدَسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ٥٤﴾ [المائدة] .

وقال: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ٥٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ٥٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ٥٨﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَنْقَلِبَكَ عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبَرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا خُنَّا لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ٥٩﴾ [يونس] .

ويستمر تحاور الأنبياء مع أقوامهم على مدى طويل فى كتاب الله يقدم لهم الأنبياء ما ينفعهم ويتعد بعضهم عن الاستجابة لنداء أنبيائهم فجعلهم الله تعالى عبرة لغيرهم لما أصابهم من عذاب الله .

وننتقل بعد ذلك إلى النداء الخاص الذى خص به الله تعالى أنبياءه أو سواهم مبينا لهم أمره وهدايته ، وإنذارهم وتبشيرهم وتبيان الحق لهم فى كثير من الآيات الكريمة التى خص بها هؤلاء فهم الأنبياء الهداة الدعاة إلى الله عزوجل .

وأول نداء وجهه للرسول ﷺ . ذكره بحال هو فيها وبصفات وتلميح له ﷺ أو صفة له . قال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الْمُدَّثِّرُ ۖ فُمْ فَأَنْذِرْ ۚ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ۚ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۚ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۚ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ۚ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۚ ﴾ [المدثر] .

وهى الآيات التالية مباشرة لأول آيات القرآن الكريم: ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ۖ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۚ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۚ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۚ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۚ ﴾ [العلق] وهى أيضا تعد حديثا للنبي ﷺ وأمرًا وتزيلا عليه .

وقوله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الْمُزْمَلُ ۚ فُمْ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا ۚ نِصْفَهُ أَوْ أَنْقُصُ مِنْهُ قَلِيلًا ۚ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْفُرْقَانَ تَرْتِيلًا ۚ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۚ ﴾ [المزمل] .

والمزمل: حالة من الحالات التى كان النبي ﷺ عليها بعد نزول القرآن الكريم عليه ، المدثر ، والمزمل... ونزلت آيات أخرى بصفة محمد ﷺ كالنبوة والرسالة .

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا تَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ تَجَدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق].

وقال: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ لِمَ تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [١] قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ [٢] [التحریم].

ومن غير ذكر لصفة أو اسم وإنما ظهر المخاطب من المعانى التى جاءت بها الآيات.

قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [١] [المجادلة].

وقال: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [١] [المنافقون].

وقال: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [١] لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا [٢] وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا [٣] [الفتح].

وقال: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [١] مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ [٢] وَمَا يَنْطِقُ

عَنِ أَهْوَىٰ ۖ ﴿٥﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٦﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٧﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۖ ﴿٨﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٩﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿١٠﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۖ ﴿١١﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٢﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۖ ﴿١٣﴾ أَفَتَمْسِرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۖ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٥﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٦﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٧﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٨﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٩﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴿ [النجم] .

ونادى الله تعالى رسوله بالرسالة وأمره ونهاه وأعطاه من توجيهاته ما يشاء .

قال تعالى: ﴿ يَتَأَيَّهَا الرَّسُولُ لَا تَحْزُنَكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ تَحْرِفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ هُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ﴿ [المائدة] .

وقال تعالى: ﴿ يَتَأَيَّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿ [المائدة] .

وتوجه الله - تعالى - بالنداء إلى نساء النبي ﷺ نتيجة الخصوصية التي لهن كأمهات للمؤمنين ، وقدوة صالحة للمسلمين جميعا والمسلمات خاصة لمعرفة

نوع التعامل الذى يجب أن يكون محدودا بالشرع بين المسلمين. وسبق نداء النساء نداء للرسول ﷺ يوجهه ليعلم أزواجه بمحدود أمر الله تعالى :

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۖ وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٠﴾ [الأحزاب] .

والنداء إلى النبي ﷺ بعد الفتح عندما جاءته النساء مبايعات والمعروفة ببيعة النساء وهى غير بيعة النساء التى عرفت ببيعة البعثة الأولى بين الرسول ووفد يثرب من الأوس والخزرج ، وأطلقت التسمية على البيعتين لتشابه شروطهما لكن الأولى (بيعة العقبة) كانت قبل الهجرة ، ولم تكن الشروط المطلوبة تتجاوز كثيرا شروط (بيعة النساء) التى جرت بعد الفتح وتميزا لبيعة العقبة الأولى عن الثانية التى عرفت (ببيعة الحرب) عرفت الأولى (ببيعة النساء) .

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعُهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُؤُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبِيسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ۝١٢﴾ [المتحة] .

وجاء الخطاب لنساء النبي ﷺ مباشرة بعد ذلك :

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ يُضَعِّفْ لَهَا

الْعَذَابُ ضَعِيفِينَ^١ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٢٠﴾ * وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ
وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٢١﴾
يَنْسَاءَ النَّبِيُّ لِسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ^٢ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ
فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٢٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا
تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى^٣ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ^٤ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا ﴿٢٣﴾ وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ^٥ إِنَّ
اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴿ [الأحزاب] .

ويتحول الخطاب للنبي ليس فقط لتوجيه زوجاته ودعوتهن ، بل يتعدى
ذلك إلى بناته ونساء المسلمين جميعا:

قال تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ
عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ^٦ ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يُعْرِفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ^٧ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأحزاب] .

وفي خصوصيات النبي ﷺ أيضا خطاب الله تعالى لرسوله في أمور حياته
الخاصة:

فقال تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ الْبَنَاتِ^٨ أَتَيْتَ أَجُورَهُنَّ^٩
وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ^{١٠} مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ
خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ^{١١} الْبَنَاتِ هَاجِرْنَ مَعَكَ وَأَسْرَاءَ^{١٢} مُؤْمِنَةً^{١٣} إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا

لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠﴾ [الأحزاب] .

- ونادى الله تعالى أنبياءه فى مواقف كثيرة يبين لهم أوامره ونواهيه وما يريد منهم فى دعوتهم وعلاقتهم مع أقوامهم وهم أيضا يجارون إليه بالشكوى والدعاء فى خطاب متبادل وهم يدعونه جل وعلا ليسر لهم ما انتدبوا إليه وما أرسلوا من أجله.

قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ١٠٠ ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ ١٠١ ﴿قَالَ يَتَادُمُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ ١٠٢ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ١٠٣ ﴿وَقُلْنَا يَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ١٠٤ ﴿[البقرة] .

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ ١٠٢ ﴿فَقُلْنَا يَتَادُمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ ١٠٣ ﴿إِنَّ لَكَ الْأَجْوَعُ فِيهَا وَلَا تَعْرِى﴾ ١٠٤ ﴿وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾ ١٠٥ ﴿[طه] .

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا مَتَّعْتُكَ بِأَنْتَ وَمُطَهَّرُكَ مِنْ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ
ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴿ [آل
عمران] .

وقال: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكُرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ
إِذْ أَيْدَيْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۖ وَإِذْ خَلَقْنَا مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي
فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ أَخْرَجُ
الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٣﴾ ﴿ [المائدة] .

وقال تعالى: ﴿ يَزَكِّرْهَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ سَخِيٌّ لَمْ نجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ
سَمِيًّا ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ
الْكِبَرِ عِتْيًا ﴿٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ ۖ وَقَدْ خَلَقْتكَ مِنْ قَبْلُ
وَلَمْ تَكْ شَيْئًا ﴿٢٦﴾ ﴿ [مريم] .

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَتَتْهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ
الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَمْوِسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ وَأَن
أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدِرًّا وَلَمْ يَعْقِبْ يَمْوِسَىٰ أَقْبَلَ
وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٢٨﴾ أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ
غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ۖ فَذَنِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ

فِرْعَوْنَ وَمَلَأِيهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿٦٨﴾ [القصص] .

وهكذا نختتم هذه الصفحات التي عدنا بها إلى رحاب القرآن الكريم نسأله طريقا حسنا نسلكه في مخاطبة الناس على اختلاف تجمعاتهم أو انفرادهم أو تكاثرهم ، واكتفيت بذكر الآيات الكريمة دون أن أخوض في تفصيلاتها وتفسيرها فهذه مهمة غير هذه ، وإنما نود أن نتعلم بأن يكون خطابنا متنوعا يختص كل فئة بما تعرف وبما تعلم .

صحيح أن بعض الحركات الإسلامية قد نوعت خطابها بأن وجهت كتباً ودعوات ونداءات إلى المسؤولين في مختلف أنحاء العالم لكنها تبقى مجرد دعوات أو رد فعل على أمر حصل فأثار نفس الدعاة فتقدموا بكتابتهم مادحين أو قادحين موافقين أو معارضين ، فإن من حق الخطاب أن يجلب بعده المنفعة العامة للدعوة الإسلامية ولأى فئة أو فرد كان ؛ لأن الغاية هي إقناع الموجه إليهم النداء بعدالة الإسلام - خاصة في هذا العصر - ولنرسي بعد ذلك دعائم الدعوة على المنطق والحق والعدل ، وهو ما لا ترى بوادره بالقرب العاجل على الأقل .

ثانيا : أسلوب الحديث القدسي في تنوع الخطاب :

وفي الأحاديث القدسية كثير من خطاب الله تعالى لعباده يدعوهم إلى المغفرة ويبين لهم حسن الثواب في الآخرة للمؤمنين ، ويرغبهم في تفصيل أوسع من الآيات في نعيم الله المقيم الذي لا حدود له ، ويجعل قلوبهم ترق إلى سماع فضله جل وعلا ، وما عنده من النعيم المقيم . وفي هذه العجالة نورد بعض هذه الأحاديث التي ترقق القلوب وتدمع العيون ، وتلين الأنفس ، وتريح الصدور ، وتقشعر لها الأبدان في ذكر فضائل الله تعالى على عباده :

١ - حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ،

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا : هلموا إلى حاجتكم قال : فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ، قال : فيسألهم ربهم - عز وجل - وهو أعلم منهم - ما يقول عبادي ؟ قال : تقول : يسبحونك ويكبرونك ويمجدونك ويمجدونك ، قال : فيقول : هل رأوني ؟ قال : فيقولون : لا ، والله ما رأوك قال : فيقول : كيف لو رأوني .. ؟ يقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيذا ، وأكثر تسييحا ، قال : يقول : فما يسألوني ؟ قال : يسألونك الجنة ، قال : يقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا ، والله يا رب ما رأوها ، قال : فكيف لو أنهم رأوها ؟ قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشد عليها حرصا ، وأشد لها طلبا ، وأعظم فيها رغبة ، قال : فمم يتعوذون ؟ قال : يقولون : من النار . قال : يقول : هل رأوها ؟ قال : يقولون : لا ، والله يا رب ما رأوها . قال : يقول : فكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فرارا ، وأشد لها مخافة . قال : يقول : أشهدكم أنني غفرت لهم ، قال : يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ، ليس منهم ، إنما جاء لحاجة ، قال : هم الجلساء لا يشقى جلسهم »^(١) .

٢- وروى ابن ماجه في سننه في باب فضل الحامدين ، عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ حدثهم : « أن عبدا من عباد الله قال : يارب ، لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، فعضلت بالملكين فلم يدريا كيف يكتبانها فصعدا إلى السماء ، وقالا : يا ربنا إن عبدك قال مقالة ، لا ندرى كيف نكتبها ؟ قال الله - عز وجل - وهو أعلم بما قاله عبده - ماذا قال عبدي ؟ قال : يارب إنه قال : يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال

(١) البخاري في فضل ، الذكر ، واللفظ له ، ورواه مسلم (٢٦٨٩/٢٥) في باب فضل مجالس الذكر .

وجهك وعظيم سلطانك ، فقال الله عزوجل لهما : اكتبها كما قال عبدى ، حتى يلقانى فأجزيه بها ^(١) .

٣- وعن أبى هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إن الله تعالى يقول : يا بن آدم تفرغ لعبادتي مملأاً صدرك غنى ، وأسد فقرك ، وإلا تفعل ملأت يديك شغلا ولم أسد فقرك » ^(٢) .

٤- وعن أبى هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « قال الله تعالى : كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمنى ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياي أن يقول : إني لن أعيده كما بداؤه ، وليس أول الخلق بأهون على من إعادته ، وأما شتمه إياي ، أن يقول : اتخذ الله ولدا وأنا الصمد ، الذي لم آلد ولم أولد ، ولم يكن لي كفوا أحد » ^(٣) .

٥- وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ - فيما يروى عن ربه - عزوجل - قال : « إن الله كتب الحسنات والسيئات ، ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة ، فإن هو همَّ بها فعملها ، كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة ، فإن هو همَّ بها فعملها ، كتبها الله له سيئة واحدة » ^(٤) .

٦- عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « يقول الله تعالى : أنا

(١) ابن ماجه (٣٨٠١) ، وفي الزوائد : « في إسناده قدامة بن إبراهيم ، ذكره ابن حبان في الثقات . وصدقة بن بشير ، لم أر من جرحه ولا من وثقه ، وباقى رجال الإسناد ثقات » .

(٢) الترمذى (٢٤٦٦) وقال : حديث حسن غريب ، وابن ماجه (٤١٠٧) ، وصححه الألبانى .

(٣) البخارى (٤٩٧٥) في التفسير من سورة الإخلاص .

(٤) البخارى (٧٤٠٥) في الرقاق .

عند ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه ، وإن تقرب إلى شبرا ، تقربت إليه ذراعا ، وإن تقرب إلى ذراعا ، تقربت إليه باعا ، وإن أتانى يمشى ، أتيت هرولة»^(١)

٧- وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الله : أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فاقروا إن شئتم : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة: ١٧] »^(٢) .

٨- عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « قال الله - عز وجل : أنفق أنفق الله عليك ، وقال : يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار . قال : رأيتم ما أنفق منذ خلق السماء والأرض ، فإنه لم يغيض ما فى يده ، وكان عرشه على الماء وبيده الميزان »^(٣) .

٩- وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالى؟ اليوم أظلمهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى »^(٤) .

- وفى الحديث الذى يلى بين الله تعالى لعباده أموراً تتعلق بحياتهم ومعاشهم ومآلهم فى خطاب متناسق متواز بين فيه خيرهم وفيه سعادتهم والعلاقة التى أعدها الله تعالى لعباده المصطفين الأخيار ، وبين كرمه ، وبين فضله على الناس وقدرته ورحمته وعفوه وغفرانه .

١٠- عن أبى ذر الغفارى رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ - فيما روى عن الله تبارك وتعالى - أنه قال :

(١) البخارى (٧٤٠٥) ، ومسلم (١/١٦٧٥) .

(٢) البخارى فى التفسير (٤٧٨٠) ، ورواه مسلم (٢/٢٨٢٤) .

(٣) البخارى فى التفسير (٤٦٨٤) ، مسلم (٣٧/٩٩٣) .

(٤) مسلم فى البر والصلة والآداب (٣٧/٢٥٦٦) .

« يا عبادى ، إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ، يا عبادى كلکم ضال إلا من هديته فاستهدونى أهدکم ، يا عبادى کلکم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونى أطعمکم ، يا عبادى کلکم عار إلا من كسوته فاستكسونى أكسکم ، يا عبادى إنکم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا ، فاستغفرونى أغفر لکم . يا عبادى إنکم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى ، يا عبادى لو أن أولکم وآخرکم ، وإنسکم وجنکم كانوا على أتقى قلب رجل واحد ما زاد ذلك فى ملكى شيئا ، يا عبادى لو أن أولکم وآخرکم ، وإنسکم وجنکم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكى شيئا . . يا عبادى لو أن أولکم وآخرکم وإنسکم وجنکم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى ، إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر . يا عبادى : إنما هى أعمالکم أحصيها لکم ، ثم أوفیکم إياها . فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه »^(١) .

ثالثا : أسلوب الحديث النبوى فى تنوع الخطاب :

وفى باب الحديث تأكيد لما سبق ذكره من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ فى وجوب تنوع الخطاب الإسلامى ، وهذا الوجوب اقتداء بما ذكره من آيات كريمة وأحاديث قدسية ، ونسوق هنا بعضا من أحاديث النبي ﷺ الذى كان يفرق بالخطاب بين أصحابه رضوان الله عليهم وغيرهم ممن تعامل معهم ﷺ فى مجال الدعوة إلى الله تعالى :

١- فمن أحاديث العموم :

- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما

(١) مسلم فى باب (تحريم الظلم) (٥٥ / ٢٥٧٧) .

هاجر إليه»^(١).

- وعن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : قال عليه السلام : « لا تكذبوا على ، فإنه من كذب على فليج النار »^(٢).

- وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إن وفد عبد القيس لما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من القوم أو من الوفد ؟ » قالوا : ربيعة قال : « مرحبا بالقوم أو الوفد غير خزايا ولا ندامى » فقالوا : يا رسول الله : إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا فى الشهر الحرام ، وبيننا وبينك هذا الحى من كفار مضر ، فمرنا بأمر نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة وسألوه عن الأشربة ، فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع . أمرهم بالإيمان بالله وحده . قال : « أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم قال : « شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس » .

ونهاهم عن أربع : عن الحنتم ، والدباء ، والنقى ، والمزفت وربما قال : المقير وقال : « احفظوهن ، واخبروا بهن من وراءكم »^(٣).

(١) البخارى (١) ، ومسلم (١٩٠٧ / ١٥٥) ، وانظر كتاب: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان : وضعه محمد فؤاد عبد الباقي دار الفتحاء دمشق ودار السلام الرياض الطبعة الأولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ج ١ / ص ١٤ .

(٢) البخارى (١٠٦) ، ومسلم (١ / ١) المصدر السابق ١ / ١٨ .

(٣) الحنتم : أى الابتاذ فيه ، وهى الجرة أو الجرار الخضر أو الحمر .
الدباء : اليعطين .

المقير : ما طلى بالقار ، وهو نبت يحرق إذا ييس تطفى به السفن وغيرها كما يطفى بالزفت .

المزفت : زفت الشىء - طلاه بالزفت .

المقبر : قبر فلان - جعل له قبر ، والقبار : سراج الصياد فى الليل ، المقبر الذى يقوم بالتقير متفق عليه : البخارى فى كتاب الإيمان وباب أداء الخمس من الإيمان .

٢- ومن الخصوص إلى العموم :

- عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن قال: « إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله ، فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ، فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموالهم »^(١) .

- حديث أبى بكر وعمر رضى الله عنهما قال أبو هريرة : لما توفى رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر رضى الله عنه - وكفر من كفر من العرب - فقال عمر ابن الخطاب - رضى الله عنهما - : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قال: لا إله إلا الله ، فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بجمه ، وحسابه على الله » . فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة حق المال والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه .

قال عمر رضي الله عنه : فوالله ما هو إلا أن رأيت الله - عز وجل - قد شرح الله صدر أبى بكر رضى الله عنه فعرفت أنه الحق^(٢) .

٣- نداء الخصوص أو خطاب الخصوص :

حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : بينا أنا رديف النبي ﷺ ليس بينى وبينه إلا أخرة الرحل فقال: « يا معاذ » قلت : لبيك رسول الله وسعديك ! ثم سار ساعة ثم قال: « يا معاذ » ، قلت : لبيك رسول الله وسعديك . ثم سار ساعة ثم قال: « يا معاذ » قلت : لبيك رسول الله وسعديك قال: « هل تدري ما حق الله على عباده .. ؟ » قلت: الله ورسوله أعلم . قال: « حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً » . ثم سار ساعة ، ثم قال: « يا معاذ بن جبل » قلت:

(١) متفق عليه: البخارى (١٤٩٦) فى كتاب الزكاة ومسلم (١٩ / ٣١) .

(٢) متفق عليه: البخارى (٧٢٨٤ ، ٧٢٨٥) ، ومسلم (٣٢ / ٢٠) .

ليبك رسول الله وسعديك ، فقال: « هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه » قلت: الله ورسوله أعلم ، قال: « حق العباد على الله أن لا يعذبهم »^(١) .

٤- وفى الخصوص العموم:

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ فى أضحى أو فطر إلى المصلى ، فمر على النساء فقال: « يا معشر النساء تصدقن فإنى أريتكن^(٢) أكثر أهل النار » . فقلن وبم يا رسول الله ؟ قال: « تكثرن اللعن وتكفرن العشير ، وما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن » قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله ؟ قال: « أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل » قلن : بلى قال: « فذلك من نقصان عقلها ، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم ؟ » قلن: بلى ، قال: « فذلك من نقصان دينها »^(٣) .

- حديث زينب امرأة عبد الله رضى الله عنهما : قالت : كنت فى المسجد فرأيت النبي ﷺ فقال: « تصدقن ولو من حليكن » وكانت زينب تنفق على عبد الله وأيتام فى حجرها فقالت لعبد الله: سل رسول الله ﷺ ، أيجزى عني أن أنفق عليك وعلى أيتامى فى حجرى من الصدقة؟ فقال: سلى أنت رسول الله ﷺ ، فانطلقت إلى النبي ﷺ فوجدت امرأة من الأنصار على الباب ، حاجتها مثل حاجتى فمر علينا بلال ، فقلنا : سل النبي ﷺ ، أيجزى عني أن أنفق على زوجى وأيتام لى فى حجرى؟ وقلنا: لا تخبر بنا . فدخل فسأله ، فقال: « من هما ؟ » قال زينب . قال: « أى الزيانب ؟ » قال : امرأة عبد الله قال: « نعم لها أجران أجر القرابة وأجر الصدقة »^(٤) .

(١) متفق عليه: البخارى (٥٩٦٧) فى كتاب اللباس وباب ارداف الرجل خلف الرجل ، وزاد فى مكان آخر . قال ماذا يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا ؟! قال : إذا يتكلموا ، وأخبر بها معاذ عند موته تأثما ، ومسلم (٤٨ / ٣٠) .

(٢) أريتكن : أى فى ليلة الإسراء والمعراج .

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب الحيض ، وباب ترك الحائض الصوم .

(٤) رواه البخارى (٣٠٤) فى كتاب الزكاة - باب الزكاة على الزوج والأيتام فى الحجر .

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض » قيل : وما بركات الأرض ؟ قال : « زهرة الدنيا » فقال له رجل : هل يأتى الخير بالشر ؟ فصمت النبي ﷺ ، حتى ظننت أنه ينزل عليه ، ثم جعل يمسخ عن جبينه ، فقال : « أين السائل ؟ » قال : أنا ! قال أبو سعيد لقد حمدناه حين طلع لذلك قال : أى رسول الله ﷺ : « لا يأتى الخير إلا بالخير ، إن هذا المال خضرة حلوة ، وإن كل ما أنبت الربيع يقتل حبطا أو يلم ^(١) إلا أكلة الخضرة ، أكلت حتى إذا امتدت خاصرتها إذا استقبلت الشمس فاجترت وثلثت وبالت ^(٢) ، ثم عادت فأكلت ، وإن هذا المال حلوه من أخذه بحقه ، ووضع في حقه ، فنعمة المعونة هو ، وإن أخذه بغير حقه كان كالذى يأكل ولا يشبع » ^(٣) .

٥- تخصيص الخطاب بقوم :

عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال : لما أفاء الله على رسوله يوم حنين قسم فى الناس فى المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئا ، فكانوا وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس فخطبهم رسول الله ﷺ فقال : « يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بى ، وكنتم متفرقين فألفكم الله بى ، وعالة فأغناكم الله بى ؟ » كلما قال شيئا قالوا : الله ورسوله أمن قال : « ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله ﷺ ؟ » قال : كلما قال شيئا قالوا : الله ورسوله أمن قال : « لو شئتم قلت

(١) حبطا : يقال : حبط الدابة تحبط حبطا : إذا أصابت مرعى طيبا فأمضت فى الأكل حتى تنتفخ فتموت .

أويلم : أى : يقرب من الهلاك والمعنى : يقتل أو يقارب القتل .

الخضرة : ضرب من الكلال تحبه الماشية وتستلذ منه فتستكثر منه .

(٢) اجترت : استرجعت ما أدخلته فى كرشها من العلف فمضغته ثانيا ليزداد نعومة وسهولة لإخراجه .

ثلثت : ألفت ما فى بطنها من السرجين رقيقا ، والسرجين هو الزبل .

بالت : ارتاحت بما ألفت من السرجين والبول وسلمت من الهلاك .

(٣) البخارى (٦٤٢٧) فى كتاب الرقاق .

جئنا كذا وكذا... ألا أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكُم؟ لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الأنصار واديا وشعبا لسلك وادى الأنصار وشعبها، الأنصار شعار والناس دثار. إنكم ستلقون بعدى أثره فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»^(١).

- حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: بعث على النبي ﷺ وسلم بذهبية. فقسمها بين الأربعة: الأقرع بن حابس الحنظلي ثم المجاشعي، وعيينة بن بدر الفزاري، وزيد الطائي ثم أحد بنى نبهان وعلقمة بن علاثة العامري، ثم أحد بنى كلاب، فغضبت قريش والأنصار قالوا: يعطى صناديد أهل نجد ويدعنا؟ قال: ((إنما أتألفهم))، فأقبل رجل غائر العينين مشرف الوجنتين، ناتئ الجبين، كث اللحية، مخلوق فقال: اتق الله يا محمد...! فقال الرسول ﷺ: ((من يطع الله إذا عصيت؟ أيا منى الله على أهل الأرض ولا تأمنوني)) فسأله رجل قتله، أحسبه خالد بن الوليد، فمنعه فلما ولى، قال رسول الله ﷺ: ((إن من ضئضى هذا أو فى عقب هذا قوم يقرؤون القرآن ولا يتجاوز حناجرهم، يرقون من الدين مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان. لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد))^(٢).

٦- ومن توجيهات النبي ﷺ العامة :

عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره، واستوصوا بالنساء خيرا، فإنهن خلقن من ضلع وإن أعوج شيء فى الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرا))^(٣).

- وفى حديث عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: لم أزل حريصا على أن

(١) البخارى (٤٣٣٠) فى كتاب المغازى، باب غزوة الطائف المصدر السابق ١ / ٢٧٠.

(٢) البخارى (٣٣٤٤) كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾.

(٣) البخارى (٥١٨٥، ٥١٨٦) كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء.

أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى: ﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ حتى حج وحججت معه ، وعدل وعدلت معه بإداوة فبرز ، ثم جاء فسكبت منها فتوضأ فقلت له: يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله: ﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿١﴾ [التحریم] قال: وا عجباً لك يا بن عباس هما عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر .

ثم استقبل عمر الحديث يسوقه . قال : كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهم من عوالى المدينة . وكنا نتناوب النزول على النبي ﷺ فينزل يوماً وأنزل يوماً ، فإذا نزلت جئته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الوحي أو غيره . وإذا نزل فعل مثل ذلك ، وكنا معشر قريش نغلب النساء . فلما قدمنا على الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم . فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار ، فصخب على امرأتى فراجعتنى ، فأنكرت أن تراجعنى قالت: ولم تنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه ، وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل ، فأفزعتنى ذلك ، فقلت لها : قد خاب من فعل ذلك منهن .

ثم جمعت على ثيابى ، فنزلت فدخلت على حفصة ، قلت لها : أى حفصة أتغاضب إحداكن النبي ﷺ اليوم حتى الليل ؟ قالت: نعم . فقلت: قد خبت وخسرت أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسول الله ﷺ فتهلكي . لا تستكثرى النبي ﷺ ولا تراجعيه فى شيء ، ولا تهجريه ، وسلينى ما بدا لك ، ولا يغرنك أن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى النبي ﷺ (يريد عائشة)... إلخ الحديث ^(١) .

(١) البخارى (٥١٩١) فى كتاب النكاح ، باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها .

وفى مجال التحريم العام :

- عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو بمكة عام الفتح: « إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام » ، فقيل: يا رسول الله ، أرأيت شحوم الميتة فإنه يطلى بها السفن ، يدهن بها الجلود ، ويستصبح بها الناس فقال: « لا .. هو حرام » . ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: « قاتل الله اليهود إن الله لما حرم شحومها جملوه . ثم باعوه ، فأكلوا ثمنه » (١) .

- وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله فى أرضه محارمه ، ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله - ألا وهى القلب » (٢) .

القسم الثانى

بلاغة الخطاب الإسلامى

١- اللغة العربية والتنزيل :

أنزل الله تعالى القرآن الكريم بلغة العرب على رسول عربى بلسان عربى مبين ، قال تعالى :

- ﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف] .

(١) البخارى (٢٢٣٦) فى البيوع .

(٢) البخارى (٥٢) فى كتاب الإيمان ، باب فضل من استبرأ لدينه .

- ﴿الْمَرْثَلَكُ ءَايَتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد] .

- ﴿الْمَرْثَلَكُ الْكِتَابِ لَا رَبَّ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة] .

- ﴿الْمَرْثَلَكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران] .

- ﴿يَسْ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ ءَابَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ [يس] .

- ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾

[ص]

- ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر] .

- ﴿حَمْ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ مَا تُجَادِلُ فِي ءَايَتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْزُرُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبَلَدِ﴾ [غافر] .

- ﴿حَمْ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ ءَايَتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [فصلت] .

- ﴿حَم﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴿٣﴾ ﴿[الزخرف] .

- ﴿حَم﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَرَّكََةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴿٢﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٣﴾ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤﴾ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ ﴿[الدخان] .

- ﴿حَم﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴿[الجاثية] .

- ﴿حَم﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴿[الأحقاف] .

- ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ ﴿٢﴾ ﴿[عمد] .

- ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَاْفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ ﴿٢﴾ ﴿[ق] .

هذه فى فواتح السور وأكثر ورودها بعد الأحرف النورانية التى ما زالت معجزة القرآن الكريم حتى الآن رغم العديد من التفسيرات التى تفضل بها المفسرون ، فإنها كلها جاءت تثبت الكتاب من الله العزيز الحكيم بلسان عربى مبين ، وفى آيات أخرى فى قلوب السور وردت أيضا قضية اختيار الله تعالى

للغة العرب ليكون فيها التنزيل ، وكان .

- ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ [النحل] .

- ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿٣٧﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٣٨﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء] .

- ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [فصلت] .

- ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ [طه] .

- ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرِ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمرا] .

- ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَبَّ فِيهِ ۖ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ [الشورى] .

ونزل القرآن الكريم بلغة العرب فى فترة ازدهار هذه اللغة ووصول المتعاملين معها من أدباء وشعراء وخطباء إلى ذروة الأداء البلاغى ، وتكلم بها العظماء وأصحاب الأدب السامى بتعابير تأخذ بالألباب . وفى هذا الزمن

نزلت آيات القرآن الكريم لتكون تحدياً لهؤلاء أن يأتوا بسورة أو آية من سور وآيات القرآن الكريم وعجزوا واعترفوا بعجزهم ، وما زالت المعجزة قائمة ببلاغة القرآن الكريم الذى لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وكان لبلاغة القرآن الكريم الأثر فى نفوس السامعين كخطاب غير عادى ، وغير ذى عوج ، وغير مسبوق أو ملحق ببلاغته . فكان التأثير قويا فى نفوسهم ، وعلموا أنه ليس من صنع البشر ، بل هو تنزيل من عزيز حكيم . والخطاب الإسلامى يحتاج إلى بلاغة غير عادية لمخاطبة الناس ، بلاغة مفهومة وليست بالقدر الذى لا يفهمه من يسمعه ، أو يسعى لأن يبحث فى القواميس والألسنة عن معانى كلماته ، وإنما بالأسلوب البديع المحكم الذى ينساب بسلاسة وعفوية وحيوية حتى يجد له فى نفس المخاطبين ذلك الأثر البلاغى الإبداعى المطلوب .

وتمتاز اللغة العربية بمخاصيات بلاغية لا توجد فى لغات العالم الأخرى ، كما أن مخارج الحروف وتهجيتها تمتاز بصياغة كلمات هادئة قوية ، ذات لحن وجرس موسيقى خاص ، كما أن الشعر العربى وبحوره تختص بموسيقا خاصة أيضا .

إن مجمل ميزات اللغة العربية يجب أن يتقنها منشئوا وكتاب الخطاب الإسلامى ، واختيار الأسلوب المناسب للأشواغ المطلوب خطابها ، وللجماعات التى نريد الحوار معها أو التواصل والتآلف والتحابب ، كما إن تعبيرات فى اللغة العربية حاسمة قوية جبارة ، ذات وقع مخيف ومؤثر كما ورد فى ذكر جهنم فى كتاب الله تعالى أو خطاب الإنذار للناس ، وفى نفس الوقت تمتاز الآيات المبشرة للمؤمنين بعز الدنيا والآخرة ، وبالرصانة والبلاغة والحنو والحب والمودة .

فإنقان بيان اللغة العربية ضرورى لصائغى الخطاب الإسلامى ليكون لخطابهم وقع وتأثير فىمن يوجه إليهم ، وبأى الصيغ كان . وإلى المسلمين جميعا

وخاصة الذين يصوغون الخطاب الإسلامى باختلاف أشكاله ووسائله وحدوده أن يعوا تماما ما ورد فى القرآن الكريم من اختيار الألفاظ والكلمات المناسبة لكل وقت وجماعة وأمم وزمان ومكان ، ولا تكون اللهجة جامدة على مدار الأيام والسنين ، فبعض الذين يصوغون الخطاب الإسلامى يضربون على وتيرة واحدة بالتوجه وباللغة وبأسلوب ، مما يفقد الخطاب الإسلامى الكثير من التأثيرات المطلوب الحصول عليها من جراء هذا الخطاب .

٢- البلاغة والفصاحة :

وهب الله - تعالى - خلقه على اختلافهم نوعا من التعبير وحسن الأداء ، تتفاوت القضية بين الناس ولكنها متوفرة فى أكثر الخلق ، واللغات أهم عامل مساعد فى توصيل المطلوب إلى الآخرين .

إعجاز لقرآن البيانى لا يدانيه قول بشر مهما فعلوا أو حاولوا ؛ لأن التحدى قائم منذ أن نزل قبل نيف وأربعة عشر قرنا إلى جميع الخلق أن يأتوا بسورة أو بآية . فأصبح التعبير القرآنى شيئا من صنع الخالق ، والمخلوقات لها حدودها ومقامها .

وكانت بلاغة النبي ﷺ ضاربة فى الأفق ، يتحدى أيضا من كان فى عهد النبوة من البلغاء والشعراء والخطباء والأدباء ، وأسلوب النبي ﷺ أسلوب خاص مؤثر فيه السمو والعلو والترفع على بنى البشر ، ومع الطريقة التى نقلها علماء الحديث لنا حول هذا الموضوع ، إلا أن تميز لهجة النبي وتعبيره وخطابه فوق أقوال الناس وبلاغتهم . فكان ﷺ بليغا فى الرد والنصح والوعظ والتوجيه والأمر والنهى والتعليم ، مع اختلاف المخاطبين من صحابته - رضوان الله عليهم - من العبقرية الفذة إلى البساطة العادية التى تكون فى كل زمان ومكان . وتأثر صحابته - رضوان الله عليهم - بأسلوب القرآن الكريم وأسلوب النبي

فرقت لهجتهم ولانت وحليت (حلوة) إلى درجة متطورة حتى شعراء النبي ﷺ أو من تعامل بالشعر معه ، فإن بلاغتهم شهد بها الكفار قبل المؤمنين ، أمثال حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وغيرهم ؛ ولذلك فإن اجتماع هذه المميزات من بلاغة القرآن الكريم ، وأقوال النبي ﷺ ، وبلاغة وفصاحة صحابته - رضوان الله عليهم - وبيان شعرائه مع ما قدم الإسلام للناس من خير وسعادة في الدارين ، كان كل ذلك من أهم الأسباب التي أدخلت الناس في دين الله أفواجا ، وأقبل الناس متأثرين بحسن البيان وروعة الخطاب للدخول في هذا الدين ، والتحول من الجاهلية في عبادتها وحياتها الاجتماعية والاقتصادية والفكرية .

ثم إن البلاغة والفصاحة التي تميز بها الخلفاء الراشدون ، وغيرهم من خلفاء بنى أمية وبنى العباس ، والقادة العسكريون والفقهاء والفصحاء والأدباء ، ملأت قراطيس وكتبا وتراثا خالدا . كان له الأثر الكبير في الحفاظ على روح الدين في الناس ، ونشر الإسلام بغير سلاح من مساحات لا تحصى من أرض الإسلام في أقوام ينطقون بغير العربية ، فتعلموها وفتنوا بها حتى أبدعوا في التأليف في أبواب النحو والمعاجم والبلاغة والصرف والبيان ، ونظرة بسيطة متفحصة لنرى الأعداد التي لا تحصى من الأعاجم الذين قدموا للغة العربية خدمات من تأليفهم مما يعجز الباحث عن جمعه وترتيبه .

فالمطلوب من دعاة الإسلام في هذا الوقت أن يتحلوا بصفة حسن الصياغة ، وحسن الحديث ، وحسن تقديم خطابهم للناس ، ولا نكون غرباء من لغتنا ، وأول من يهدم كيانها وبنيانها ، وأول من يخرج إلى اللغات السائدة كثيرا في وقت المحاوره والحديث معهم وإليهم ، ولكن بيننا نحن المسلمين من استهان بهذه اللغة ، وقل بين الأكاديميين أساتذتها ، وما فعل كثيرا علماء العربية في الوقت الحاضر لتسهيل تعليمها ، وتسهيل إفهامها للناس ، بل إن الحاجز القاتل أمام دارسى العربية والتعمق بها في بعض علوم النحو والبلاغة . على الرغم من أن تأصيل هذه العلوم كان على أيدي المسلمين الأعاجم ، الذين ألفوا

وكتبوا ودونوا ووضعوا تلك الأصول للدارسين ، وصاغوها شعرا ونثرا وقواعد محددة ، بكلام مختصر مفيد .

فالفصاحة والبلاغة فى الخطاب الإسلامى ضرورة لتعطى الأثر الذى نرجوه من جراء صياغة الخطاب المكتوب (كتابا ، أو نشرات ، أو صحفا ، أو بيانات أو غيرها) وكذلك فى الأحاديث والوسائل المسموعة كخطب الجمعة والوعظ والإرشاد والراديو والإذاعات ، وحتى فيما يمكن أن يكون مادة لأعمال أخرى .

ما من شك أن بلاغة الحوار والدعم بالحجج والدليل أمر مفروض علينا فى حياتنا العامة والخاصة ؛ لىؤدى الخطاب الإسلامى دوره المطلوب فى تبيان عظمة الإسلام وأحكامه وأهدافه وحلوله لمشكلات الدنيا ، ولا نقف عاجزين أمام تحديات المخترعات المؤثرة فى النفوس والشعوب ، والتى كان لها أكبر الأثر فى الانحراف عن جادة الصواب .

٣- التأثيرات النفسية والوجدانية :

تصدى لنقاش الرسول ﷺ العديد من قادة الحكم والفكر والدين من قريش ومن المشركين الآخرين ومن اليهود ، وكان النبي ﷺ يحسن اختيار الرد من القرآن الكريم أو من بلاغته ﷺ أو واقع الحياة . جاء عتبة بن ربيعة من حكماء قريش وقادتها وسياسيها إلى النبي ﷺ فى محاولة من المحاولات الكثيرة التى كانت قريش قد أعدت برامج لها من الترغيب والترهيب فى محاولات فاشلة ليشنوا النبي ﷺ عن دعوته ، فأخذ يبين عتبة بن ربيعة للنبي الحال الذى وصلت إليها قريش بإسلام العديد من أبنائها وخروجهم على العرف والعادة التى كانت عليها ، ودخولهم فى دين الله تعالى ، وتسفيه أحلام قريش وشم أهتها واحتقارها ، وما أدى الأمر إلى شق وشرخ كبيرين فى تعاون قريش وتلاحمها فأضعف هيبتها عند العرب ، وعرض على النبي ﷺ العروض السخية إن هو استجاب لنداء قريش . وتحدث

وطال الحديث والنبي ﷺ يسمع له ، فلما انتهى قال : يا عم لقد تكلمت فسمعت فاسمع ما أقول ، وتلا قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل] .

فاخرقت الآية أذنى عتبة بن ربيعة إلى دمه وعقله وقلبه ، فوضع أصابعه فى أذنيه وصاح : كفى يا محمد .. كفى يا محمد .. وخرج من عنده ، وذهب إلى بيته وانقطع عن الناس أياما حتى ظن القوم أنه صبا (أسلم) ، فجأؤوه وسألوه الخبر فقال : والله ما صبات ولكنى سمعت كلاما ما سمعت به من قبل ، فهو ليس بقول ساحر ولا بشر ولا كاهن . فالبلاغة والفصاحة تدخل القلوب من غير استئذان ، ولها التأثيرات الكبيرة جدا على نفوس الناس وعقولهم ، وكم من رجل أحاط الكفر والعصيان جوارحه كانت بكلمة من كتاب الله تعالى أو بقول من رسول الله ، أو من أحد صحابته تردهم إلى رشدهم ، وتحول مجرى حياتهم فيدخلون فى هذا الدين ، وقصة إسلام أسيد بن حضير ، وسعد بن معاذ سيد الأوس ، فى لحظات قصار بسماعهم حسن الأداء من مصعب بن عمير ؓ حتى قال قومهم : والله لقد عاد إلينا أسيد (أولا) وسعد (ثانيا) بغير الوجه الذى ذهب به . فتحول الوجوه من الكفر إلى الإيمان . وإنما هو برهان على أن هذا القرآن يغير المشاعر والأحاسيس الوجدانية ، ويبدل الحياة وليس عند البشر فقط الآدميين ، حتى عند الجن الذين سخروا لغواية المؤمن وإبعاده ما أمكن عن دينه فإنهم تأثروا وآمنوا .

قال تعالى : ﴿ قُلْ أُوْحِي إِلَىٰ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۚ وَلَنُفْشِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ [الجن] . وَأَنَّهُ تَعَلَّىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ [الجن] .

وفى آيات أخرى يذكر الله - تعالى - حال أولئك الذين يستمعون إلى القرآن

فتفيض أعينهم من التأثر والخشوع .

قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۚ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّكَ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۚ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ۚ﴾ [المائدة] .

إن الفصاحة والبلاغة ذات تأثير سحرى فى نفوس الناس ، فكم من ضال اهتدى بكلمة طيبة تتميز بالفصاحة ، وكم من جبار رق قلبه ولان لتأثير آية من آيات الله تعالى . بعد أن تتفاعل فى جنباته وتمس شغاف قلبه فيترك الهوى ويتبع الحق . وقصة إسلام عمر بن الخطاب ؓ جاءت بعد أن قرأ بعض آيات القرآن الكريم من سورة طه فى بيت أخته فاطمة ، فانقلب من وحش كاسر إلى حمل وديع ، وكان منه ما كان فى إسلامه وفى خلافته .

إن الله تعالى قد أودع الخير فى قلوب الناس ، وأودع بها الليونة وأودع فيها الأمن والأمان ، فإذا طرقت هذه الودائع بأسلوب طيب مؤثر طردت الشر والحقن والتكبر لتكون فى مصاف المؤمنين ، وبالأسلوب الطيب والحوار الشرعى تكون الآثار الطيبة واضحة . ولذلك فإن الله تعالى قد أمرنا بأمر ما أعطيناه حقه من العناية والرعاية عندما أمرنا محمداً لنا سبل الدعوة ذات التأثير النفسى البديع .

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۚ وَجِدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۚ﴾ [النحل] .

- ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنْتَرَعُونَكَ فِي الْأَمْرِ ۚ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۚ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ۝٦٧ ﴾ وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٦٨﴾ اللَّهُ يُحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۖ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧٠﴾ [الحج] .

- ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝٧١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنَ أَهْلِ الْقُرَىٰ ۚ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٧٢﴾ [يوسف] .

- ﴿ آدِفْ بِاللَّيْلِ هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ۝٧٣﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ۝٧٤﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ۝٧٥﴾ [المؤمنون] .

- ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝٧٦﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ آدِفْ بِاللَّيْلِ هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝٧٧﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٧٨﴾ [فصلت] .

أى قول أبلغ من قول الله تعالى بأن يصبح العدو وليا حميما بحسن الدعوة ودفع السيئة ، وهذا الانقلاب النفسى لا يأتى إلا بحسن الخطاب ويدخل فى القلب بكلام يخرج من القلب ، أما ما يخرج من اللسان فلا يتجاوز الأذان .

٤- التأثيرات العلمية والعملية :

إن حسن الدعوة وبلاغة الخطاب لا تقتصران على التغيرات النفسية والوجدانية ، وهما من الأمور المهمة جدا ، ولكن يتعدى ذلك إلى الإسلام دين العلم ، الذى سبق كثيرا كل النظريات العلمية الحديثة وما جاءت جميع النظريات إلا تصديقا لما عند الله تعالى ، وتفسيرا لآياته التى ما عرفها الأولون ، والتى لا يعرفها أيضا المعاصرون وترك الله تعالى معرفتها لمن يأتى من بعد ﴿ وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأُهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ [ص] ولا ندخل فى شروح العلماء الذين نذورا أنفسهم للبحث فى الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة ، وهو علم ولج فيه الكثيرون الذين وجدوا فيه المتعة ، ووجدوا فيه من الإعجاز والعجب الشيء الكثير ، وملأت مقارناتهم واكتشافاتهم وبحوثهم الكثير من الكتب .

ولقد أدى التأثير فى البعض إلى دخول الإسلام إن كان غير مسلم قبلا ، والهداية للكثيرين الذين ضلوا فى هذه الحياة الدنيا وكانوا يظنون أنهم يحسنون صنعا . وبذلك فإن التأثيرات البلاغية والبيانية والعلمية والإعجاز كل الإعجاز الذى فى هذا الدين ، فإنه يقود لا محالة إلى الهداية وإلى معرفة الحق من الله تعالى ، بأن هذا الكتاب الخالد هو المعجزة الدائمة التى زود بها النبي ﷺ كخاتم للنبيين وإمام للمرسلين وناسخ ما سبقه من أديان إلا ما صلح منها ووافق شرعة الله تعالى . فإن من المنطق والمعقول أن يحسن المسلمون خطابهم ويخصون به أصحاب الخصوص إن كان ذلك ضروريا ، ويعممون إن كان التعميم أفيد وأفضل إلى درجة الاكتفاء لمن أراد أن يطلع عليها ، وعرفت أمة الإسلام بأمة « اقرأ » كأول كلمة نزلت من القرآن الكريم على قلب محمد الأمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

٥- النتائج والرصد الدعوى :

بعد هذا السرد الطويل لقضايا الخطاب الإسلامى لا بد من النهاية إلى أمر

مشفوع ومرتبطة بمجريات هذا الخطاب . خاطب المسلمون الناس ، واتبعوا أحسن ما أنزل إليهم من كتاب الله وهدى النبي ﷺ ، والأخذ بالفضل والأصوب من أقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم ، واستخدموا الوسائل المشروعة لإيصال خطابهم إلى الناس ، ولم يقصروا في الدعوة إلى الله عز وجل . وتكاثفت قواهم وتناسبت وتناغمت دعواهم .

وفى هذا العصر بالذات الذي تميز بالسرعة وتميز بالاختراعات ، وتميز بثورة الاتصالات ، وانكشفت الأرض لتوضع في كف الإنسان ، ومع عدم إمكانية الاستفادة من هذه الثورة في الوقت الحاضر على الأقل ، فإن من المفروض عند تقديم كل هذه المعطيات أن نعلم إلى أى مدى تمكنا من إيصال خطابنا إلى الناس ، وإلى أى مدى سمع الناس خطابنا وإلى أى مدى تأثر الناس بخطابنا وإلى أى مدى استجاب الناس لما قدمنا ، وإلى أى مدى كسبنا مؤيدين ، وإلى أى مدى دخل الناس في دين الله أفواجا لنفرح بنصر الله تعالى الذي جعله فرحتين بنصر وفتح : قال تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۚ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝ ﴾ [النصر] .

لقد قام الأنبياء عليهم السلام وقدم الصالحون من أتباعهم والصحابة والتابعون ومن أحسنوا الدعوة وتمكنوا أن يحصلوا على نتائج صافية مرضية ، لكن بعضا منهم حصلوا على ما حصل عليه غيرهم ، فكان ثوابهم عند ربهم جنات ؛ لأنهم جدوا واجتهدوا وعملوا واهتدوا وهدوا وحصلوا على بعض النتائج ، والله تعالى أيدهم بمعجزات وأيدهم بنصر ، ولكن بعض القوم ما استجابوا فأخذهم الله تعالى أخذ عزيز مقتدر ، وجعلهم عبرة للناس على مر العصور ليعتبر أولو الألباب . وذكر الله تعالى لنا في كثير من آيات كتابه العزيز النتائج التي تحصل عليها الأنبياء عليهم السلام ، وذلك لتتابع رصد النتائج من

خلال هذه الدعوة ، فقد يكون الدرب الذى سلكناه ليس قويمًا أو ليس مناسبًا لزمان أو مكان أو بشر أو أقوام ، وقد لا يكون المقدم يتناسب مع المطلوب فيكون رد الفعل أقوى وأكثر ردة وكفرا .

قال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (١٧) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿١٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُهُ بَيِّنًا أَوْ نَهَارًا مَآذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٢٠﴾ أَتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنْتُمْ بِهِ ءَالَسْنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٢﴾ * وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّ إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٢٣﴾ [يونس] .

- وقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢٤) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٥﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِينَةً ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿٢٦﴾ [يونس] .

- وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٧) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَنَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ [يونس] .

- وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾^(١) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ^(٢) ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ^(٣) كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ^(٤)﴾ [حمد] .

تلك سنة الله - تعالى - فى خلقه منذ أن أهبط آدم إلى الأرض وحمله أمانة الدعوة إلى الله تعالى ، فمن استجاب فقد فاز ومن عصى وضل ، فقد خسر خسرانا مبينا فى الدنيا والآخرة . ولذلك فإن من منطوق العمل أن لا يترك الأمر على علته وإنما يوجب العمل الدعوى رصد النتائج التى تحصلت . الدعاة غير مسؤولين عن كمية المجيبين ، فإن هذا من أمر الله تعالى ، ولكن الدعاة مكلفون بدعوة الناس إلى هذا الدين الذى عليه المعول بإنقاذ الناس من هذا التردى الحضارى الذى وصلوا إليه فى مناهة الاختراع والتطور ، وفى الانصياع إلى قوة ما ملكها المسلمون ولكنها بيد الكافرين يستأثرون بها ويجعلونها فى خدمة مصالحهم وشياطينهم ، ويجاربون بها الله ورسوله والدعاة إلى الله ورسوله ، فمن الواجب التصدى بالقدر الممكن لهذا الزحف الجارف ، ومن ثم لا يمكن لأى إنسان أن يقف فى وجه التحديات وحيدا ، ولكن علينا الرصد وحساب النتائج حتى نقدر الحال الذى يمكن لنا أن نتصدى به .

لقد دأب بعض الدعاة على قول الكلمة والمضى بعدها لا يلتفتون إلى شىء فتراهم فى مد وجزر كبيرين ، غير عارفين عن حالهم أو حال الآخرين شيئا . ولا بد من تقدير ما يمكن حصره للعمل فى إطار المملوك من القوة والسلطان . وحتى عن أقرب الناس إليهم ، أهل بيتهم وزوجاتهم وبناتهم وأولادهم ، إذ اعتقد أولئك أن قول كلمة الحق والإسلام فى أى مكان أو محفل تكفى لأن

ترفع عنهم التكليف بالدعوة ، وتركوا القضايا الأخرى من أمور الناس ومعاشهم وسياستهم وحكوماتهم وكل ما يمكن أن يغير في مجال الحياة تركوه ؟ تركوه لأنهم لم يهيئوا أنفسهم للاصطدام به ولمن تركوه ؟ تركوه لعوامل الشر الأخرى تنهش فيه وتمزقه وتفسده ، وتحطمه ، وتقتل الخير فيه بأى مكان أو زمان ، ولا نلوم فى هذا أحدا ، لكن الذى نود قوله هو أن الرصد لا بد من معرفته ، ولا بد من معرفة اتجاهات رأى العام فى أى بلد نخطب أهله ، ونعرف مدى الاستجابة والتجاوب مع خطابنا إليه إن كان لنا قدر أن نخطبه بعد أن صد الظالمون الطريق على دعاة الإسلام ، ودفعوهم دفعا إلى أن ينساحوا فى العالم يبحثون عن مكان يقفون عليه ، ليأخذوا أنفسهم لحظة من المطاردات ومن الملاحقات .

لا بد من معرفة النتائج ، ولقد أفضنا الحديث عن تنوع الخطاب حسب السامعين ، لكن لا بد من معرفة ما آلت إليه أصوات الداعين إلى الله فى أى وسيلة من الوسائل كانت ، ولا يعنى الرصد الجامد ، لكن لا بد من اختيار الأنصار ، ولا بد من متابعة المسيرة معهم ، وتحويلهم إلى دعاة لهذا الدين بعد أن يعرفوا عنه ما يجب معرفته وحدوده ، وكذلك الأمر بالنسبة للصد إن وجد ، وكثيرا ما يوجد وذلك لتغيير لهجة الخطاب ، وأسلوب الخطاب ، ولغة الخطاب ، وبلاغة الخطاب ، ولا بد من الرصد وتحمل مسؤولياته سلبا أو إيجابا حتى يكون العمل متقنا مبرحما معروفا . صحيح أن الله يهدى من يشاء ، ولكن من الواجب معرفة هؤلاء الذين اهتدوا أو صدوا عن سبيل الله ، ويجب أن تسخر لذلك طاقات عالمة عارفة باتجاهات الناس وميولهم وغرائزهم وشهواتهم من خلال الاندماج الكامل أو شبه الكامل بالتجمعات التى توجه إليها الخطاب وحتى لا نخطئ الظن أو نحسنه بلا رصيد معروف فتكون الطامة وينقلب بذلك العمل إلى ما لا تحمد عقباه .

إن أحاديث سيدنا إبراهيم مع قومه ، غيرها من النمرود ، غيرها مع كل من صادف لقاءه معه ﷺ . وكذلك خطاب النبي ﷺ الذى كان يعتمد كلية على معرفة من يسمع منه عليه السلام . وبذلك نضمن بعون الله تعالى حسن المسيرة ونضمن بذلك النتائج المرضية ، ولنتنقل إلى الرقم التالى من هذا الحديث والحمد لله رب العالمين .

القسم الثالث

استدراك

قبل أن ننهى موضوعنا ونطوى صفحاته على المعلومات التى تعتبر غير كاملة تماما لعجز إدراك الإنسان وتأخره عن حصر كل ما يمكن أن يفكر به الآخرون ، أو حتى ما يطرحه الآخرون من أفكار وسياسات وآراء . فقد وقفت على كتاب « الشرعية السياسية فى الإسلام ومصادرها وضوابطها » ، إعداد وتقديم : عزام التميمي ، وهو مادة محررة من الأوراق والمداخلات التى قدمت لندوة نظمتها ليبرتى للدفاع عن الحريات فى العالم الإسلامى فى لندن تموز يوليو ١٩٩٦م تحت نفس العنوان . وصدر الكتاب فى مارس ١٩٩٧م . وتم الاطلاع على مقال الدكتور عبد الوهاب المسيرى تحت عنوان : معالم الخطاب الإسلامى الجديد . والمداخلات والتعليقات حول هذا الموضوع ، واقتضاب بعض الأفكار والآراء الطيبة ، والتعليقات المفيدة مما يدعم ما حوى هذا البحث لعلماء وسياسيين أجلاء ، وتصوراتهم حول الخطاب الإسلامى الجديد .

يقول المقال: يميل البعض إلى تصوير الخطاب الإسلامى باعتباره خطابا واحديا ، أى: ذا بعد واحد . لا شك أن الدين الإسلامى هو عقيدة التوحيد ، لكن التوحيد لا يعنى الواحدية ، بل يعنى: أن الله الواحد مفارق للإنسان والكون ، منزه عنهما ، وهو ما يعنى أن الواحد هو الله وحده وما عدا ذلك فكثير .

والخطاب الإسلامى ليس كلام الله^(١) ، وإنما هو اجتهادات المسلمين داخل الزمان والمكان ومن ثم فهو أيضا متعدد وكثير . وتاريخ المسلمين هو تعبير عن هذه الكثرة والتعددية ، ونحن نميل إلى تصنيف مستويات الخطاب الإسلامى على النحو التالى :

- ١ - خطاب إسلامى ظهر مع دخول الاستعمار إلى العالم الإسلامى ، وحاول أن يقدم استجابة إسلامية لظاهرتى التحديث والاستعمار ، وبقي حتى الستينيات من القرن العشرين ، ويشار إليه بالخطاب الإسلامى القديم .
- ٢ - ظهر خطاب آخر كان هامشيا بدأ يظهر بمنتصف الستينيات ، وكان قبل هامشيا ويشار إليه بالخطاب الإسلامى الجديد ، والخلاف بين الخطابين هو الموقف من الحداثة الغربية .

وإلى جانب هذا التصنيف الثنائى على أساس المرحلة التاريخية قد يكون من المفيد أن نشير إلى تصنيف ثلاثى على أساس حملة الخطاب :

- ١ - الخطاب الجماهيرى (الاستفتائى أو الشعبوى)^(٢) . وهو خطاب القاعدة العريضة من الجماهير الإسلامية التى شعرت بفطرتها أن علميات التحديث والعلمنة والعولمة لم يكن فيها خير للأمة ولا صلاح لها . ولاحظت أن هذه العمليات هى فى جوهرها عمليات تغريب ، سلبتها موروثها الدينى والثقافى ولم تعطها شيئا بالمقابل ، بل أدت إلى مزيد من الهيمنة الاستعمارية والاستقطاب الطبقي فى الداخل ، وعبرت عن نفسها من خلال هبات تلقائية

(١) الخطاب الإسلامى : يعنى كلام الله وما يرجع إلى كلام الله ، وبيان ذلك أن كلام الله تعالى وهو القرآن هو كلام الله لفظا ومعنى ، وكذلك حديث رسول الله ﷺ وهو وحى الله بالمعنى ، وأما اللفظ فلفظ رسول الله ﷺ ، وأما اجتهادات الفقهاء وما استفادوه من معانى القرآن الكريم وحديث رسول الله ﷺ فهى لاحقة عليهما كما هو واضح .
الدكتور عبدالكريم زيدان - تعليقا له أثناء مراجعة الكتاب .

(٢) المصطلحات من وضع الكاتب .

غاضبة ضد أشكال التعذيب المتطرف والغزو الاستعماري أو من خلال « فعل الخير ». يتشكل هذا الخطاب من الفقراء في الدرجة الأولى ، ولكنه يضم في صفوفه أيضا الأثرياء ممن يشعرون بأهمية الموروث الديني والحضاري ، ومن أدركوا أن في ضياعه ضياعا لكل شيء .

٢- الخطاب السياسي - هو خطاب بعض أعضاء الطبقة المتوسطة من المهنيين والأكاديميين وطلبة الجامعات والتجار ، ممن شعروا أيضا بالحاجة إلى عمل إسلامي يحمي هذه الأمة . وإدراكا منهم بأن العمل السياسي هو السبيل إلى ذلك ، نظموا أنفسهم على شكل هيئات سياسية لا تلجأ إلى العنف ، تتبعها تنظيمات شبابية ومؤسسات تربوية . ربما مال البعض للاستيلاء على الحكم إلا أن الملاحظ بعد عام ١٩٦٥م أن ثمة اتجاها نحو العمل من خلال القنوات الشرعية القائمة ، ويكاد ينحصر اهتمام حملة هذا الخطاب في المجالين السياسي والتربوي .

٣- الخطاب الفكري: وهو الخطاب الذي يتعامل أساسا مع الجانب التنظيري والفكري داخل الحركة الإسلامية .

لا يعنى هذا التقسيم انفصال مستويات الخطاب الثلاثة ، فالخطابان الجماهيري والسياسي متداخلان . وكذلك الأمر بالنسبة للخطابين السياسي والفكري ورغم انفصال الخطاب الجماهيري عن الخطاب الفكري إلا أن تداخلا يحدث بينهما من خلال الخطاب السياسي . وهكذا ، ولكن رغم تأكيد هذه الوحدة الأساسية بين مستويات الخطاب الثلاثة ، فإن من المفيد من الناحية التحليلية افتراض استقلالها الواحد عن الآخر .

ويصف الكاتب حال الحضارة الغربية وما آلت إليه باعتبارها التحدى الحضاري الأهم إن لم يكن الأوحده للخطاب الإسلامى القديم أو الجديد . وقد ظهرت انتقادات جارحة لمجريات الحضارة الغربية من أبنائها أنفسهم ، ولم تعد تلك الحضارة التنويرية التى انبهر بها الأقدمون .

وكان ماركوز بحديثه عن تنميط الحضارة الغربية والإنسان ذى البعد الواحد ، يبين أن ثمة خلافا بنويا فى صميم الحضارة الغربية يتجاوز التقسيم التقليدى المتبع ، الذى يقسمها إلى حضارتين واحدة اشتراكية وأخرى رأسمالية ، وأعاد كثير من المؤرخين المراجعين كتابة تاريخ الحضارة الغربية ، ليسينوا حجم جرائمها ضد شعوب آسيا وأفريقيا ، وحجم النهب الاستعماري ، وظهرت كذلك كثير من الدراسات التى توجه سهام النقد الجذرى إلى نظريات التنمية ، وكان لحركة اليسار الجديد إسهام مهم فى هذا المضمار ، ولذا فسواء على مستوى الممارسة أو على مستوى الفكر ، لم يكن من الصعب على حملة الخطاب الإسلامى الجديد من دراسة الحضارة الغربية فى منتصف القرن العشرين أن يعرفوا مثالبها كما لم يعد بوسعهم أن يمارسوا ذلك الإعجاب الساذج بها الذى مارسه كثير من إسلامى الجيل . فالحضارة التى عرفوها وخبروها مختلفة فى كثير من جوانبها عن تلك الحضارة الغربية التى عرفها ودرسها جيل الرواد وشتان ما بين الخبرتين.

لابد من التأكيد هنا على أن كلا الجيلين القديم والجديد لم يؤسس منظومته الفكرية انطلاقا من المنظومة الإسلامية وحسب ، وإنما نتيجة تفاعله مع الحضارة الغربية فى الوقت ذاته ، وهذا أمر طبيعى للغاية ، فهى الحضارة التى فرضت سيطرتها على العالم ، واكتسبت مركزية بحكم الانتصارات العسكرية التى حققتها ، وهى الحضارة التى طرحت رؤيتها للكون باعتبارها رؤية كل البشر فى كل زمان ومكان ، وطرحت معرفتها باعتبارها علوما دقيقة تصلح للتطبيق فى كل المجتمعات ، وفرضت نفسها باعتبارها مستقبل البشرية جمعاء ، وألقت بالتحدى الذى كان على الجميع الاستجابة له ، شاؤوا أم أبوا ... !

وباختلاف نوع التحدى وحدته اختلفت الاستجابة ، وقد وجد المصلحون الأوائل جوانب إيجابية كثيرة فى هذه الحضارة الغربية ، بل أكاد أقول: إنهم

انبهروا بها ، وهذا ما عبر عنه الشيخ محمد عبده فى عبارته الشهيرة : لقد وجدت هناك مسلمين بلا إسلام ، ووجدت هنا إسلاما بلا مسلمين ، ولذا كانت استجابة الجيل الأول للتحدى الغربى هى : كيف يمكن أن نلحق بالغرب؟ وكيف يمكن أن ننقل تلك المنظومة الرائعة إلى حضارتنا مع الاحتفاظ بقيمتنا وبشئ من هويتنا؟

ولكن لو كانت خبرة الشيخ محمد عبده مع الحضارة الغربية مثل خبرتنا ، لتردد كثيرا قبل أن يقول قوله هذه . وقبل أن يطرح معالم مشروعه ، وثمة واقعة تاريخية توضح النقطة التى أود الوصول إليها . لقد كان الشيخ رفاعة الطهطاوى يعيش فى باريس ١٨٣٠م وعرف عنه أثناء ذلك إعجابه بالحضارة الغربية . وكانت مدافع القوات الفرنسية حينها - وفى نفس ذلك العام - تدك القرى الجزائرية الآمنة دكا .

إلا أن الشيخ رفاعة الطهطاوى لم يكن يرى من حوله إلا النور الساطع ، الذى يغشى الأبصار ، ولم يكن يسمع سوى الإيقاع المتحضر المدوى الذى كان يغطى على الإيقاعات الأخرى ، أما الشيوخ الجزائريون ، فكانوا من مواقعهم فى قراهم البسيطة لا يرون إلا ألسنة النيران المندلعة ، ولا يسمعون سوى قعقة القنابل . وتورد إحدى كتب التاريخ أنه قبل لأحد هؤلاء الشيوخ : إن القوات الفرنسية جاءت لنشر الحضارة الغربية فى ربوع الجزائر ، فجاء رده جافا ومقتضبا دالا ؛ إذ قال : ولما أحضروا كل هذا البارود إذن ...؟^(١)

نحن مثل هذا الشيخ الجزائرى ، شممنا رائحة البارود ، وشاهدنا ألسنة اللهب ، وسمعنا قعقة المدافع ، ورأينا سنابك خيولهم وهى تدوس على كل شئ ، ثم رأينا البارود وهو يزداد انتشارا ، وشاهدنا مقدرته وهى تتحسن فى الأداء بشكل مذهل إلى أن أصبح قنابل وصواريخ وأسلحة جرثومية ونووية

(١) الشرعية السياسية فى الإسلام مصادرها وضوابطها : إعداد عزام التيمى - ليرتى للدفاع عن الحريات فى العالم الإسلامى . ص ١٦٥ - ١٧٣ بتصرف .

تخصص لإنتاجها نسب مئوية عالية فى ميزانيات الحكومات الغربية ، ثم الشرقية والجنوبية والشمالية ، حتى أصبحت صناعة أسلحة الفتك من أهم الصناعات فى عالمنا الحديث .

لو أن الشيخ رفاعة أو الشيخ محمد عبده شما رائحة البارود كما فعل الشيخ الجزائرى ، وكما نفعل نحن ، لما تحدث أى منهم عن مسلمين بلا إسلام ، ولكن لأن رائحة البارود كانت مخفية ، ولأن النور كان ساطعا يغشى الأبصار ، أصبحت القضية بالنسبة لكثير من حملة الخطاب القديم - كما أسلفنا - هى كيفية التصالح مع الحداثة. كان ذلك جوهر مشروع محمد عبده الذى ساد حتى منتصف الستينيات من هذا القرن ، وهو ما نشير إليه بالخطاب الإسلامى القديم وهكذا أصبحت المنظومة الإسلامية جزءا من المنظومة العامة التى سادت العالم الثالث منذ بداية القرن الحالى ، حين كان الجميع يذلون قصارى جهدهم فى اللحاق بالغرب والتنافس معه على أرضيته ، وقد نادى الليبراليون فى بلادنا بتبنى المنظومة الغربية الحديثة بجلوها ومرها ، وتمرد الماركسيون قليلا وطرحوا إمكانية أن ندخل الحداثة الغربية من خلال بوابات الماركسية والدفاع عن مثل العدالة الاجتماعية .

أما الإسلاميون فقد تصوروا إمكانية تبنى منظومة الحداثة الغربية ومزجها بالإسلام . ولكن الجميع رغم اختلاف اتجاهاتهم ومشاربهم ، فقد حول الغرب إلى المرجعية الشاملة الصامتة ، وهذه هى رؤية الكون الكامنة وراء معظم الأيديولوجيات العلمانية والدينية فى العالم العربى والإسلامى ، وبطبيعة الحال تراجعت المنظومة الإسلامية وتقلصت أبعادها وفقدت شمولها باعتبارها رؤية للكون ، وبدلا من طرح تصورات إسلامية لكل مجالات الحياة ، أصبحت القضية هى أسلمة بعض جوانب الحداثة . وكانت هذه الأسلمة تأخذ فى معظم الوقت شكل « حذف » المحرمات بلا إضافة ولا إيداع ، وتأكيد الجوانب « الحلال » فى الحضارة الغربية أو البحث عن تلك الجوانب فى المنظومة

الإسلامية التى لها ما يقابلها فى تلك الحضارة الغربية ، الأمر الذى يعنى ضمور الجوانب الأخرى التى تشكل صميم خصوصية المنظومة الإسلامية.

لا يشعر حملة الخطاب الإسلامى الجديد بالإعجاب نفسه تجاه الحداثة الغربية ، ولذا نجد أن خطابهم ينبع من نقد جذرى لها ، وهم فى هذا لا يختلفون عن كثير من المفكرين والحركات السياسية فى العالم الثالث والعالم العربى فى الوقت الحاضر ، فالماركسية هى شكل من أشكال نقد الحداثة ، ونبعت منه مدرسة فرانكفورت التى عمقت هذا النقد ، والأدب الرومانسى - كما أسلفنا - كان احتجاجا على الحداثة الغربية ، ولكن احتجاج الأدب الحداثى كان أكثر عمقا وجذرية فهو الذى يصور عالم الحداثة « المتشئى » حيث يتحول الإنسان إلى شئ وتفقد الأشياء معناها ، وتنكسر حلقة السببية تماما . ومسرح العبث هو جزء من هذا الاحتجاج الغربى على الطريق المسدود الذى أوردتنا إياه الحضارة الغربية الحديثة .

وقد ظهرت أخيرا الأصولية الدينية فى الغرب كامتداد جماهيرى شعبوى لهذا الاتجاه الفكرى . وفى العالم الثالث نجد أن الفكر القومى هو فى جوهره محاولة لدخول عالم الحداثة من بوابات غير غربية ، ودون فقدان الخصوصية ، أى أنه ثمة إدراك ضمنى مفاده أن الحداثة الغربية تنزع الخصوصية عن الإنسان وتفرغه من مضمونه الإنسانى . والخطاب الإسلامى هو جزء من هذا التيار العالمى الأكبر ، وليس مقصورا علينا بأية حال ، فثمة إحساس بأزمة الحداثة الغربية أخذ أشكالا مختلفة فى أرجاء العالم ، وأخذ شكلا إسلاميا فى العالم الإسلامى .

ومع هذا يمكن القول بأن النقد الإسلامى للحداثة يختلف عن أشكال نقد الحداثة فى بقية العالم ؛ إذ إنه يدرك مدى ارتباط منظومة الحداثة الغربية بالإمبريالية الغربية ويدرك صعوبة فصل الواحد عن الآخر . فقد كانت الإمبريالية على أية حال هى أول تجربة لنا مع الحداثة وما الاستعمار الاستيطانى الصهيونى إلا واحدا من حلقاتها . كما يتسم النقد الإسلامى للحداثة بأنه متفائل ؛ لأنه يطرح حلولاً ، على عكس النقد الغربى للحداثة فهو

متشائم عدمى .

هذه نقطة الانطلاق الأساسية التى تتفرع عنها كل السمات الأخرى .. والتى يمكن أن نوجزها فيما يلى^(١) :

ويقع الإيجاز فى خمس وعشرين فكرة ، أوردها المؤلف ليحدد النظر للخطاب الإسلامى إلى الحداثة الغربية وموقفه منها ، وهى نقاط يمكن أن نضع عناوينها بما يلى :

١ - الخطاب الإسلامى الجديد ليس اعتذاريا ، ولا يحاول أن يقول : نحن سبقنا الغرب بكذا وكذا ، ولا يتحدث عن الأعجاد الغابرة ، ومع هذا لا يرفض حملة هذا الخطاب الغرب بشكل قاطع .

٢ - يرفض الخطاب الإسلامى المركزية والعالمية التى يقبضها الغرب على نفسه .

٣ - ومع إدراك الخطاب الإسلامى الجديد أزمة الحداثة الغربية ، يدرك أيضا أنه لا يوجد أى مبرر لارتكاب أخطاء الآخرين ، وسلوك الطريق المسدود الذى أدى لأزمته .

٤ - الخطاب الجديد فهو خطاب جذرى توليدى استكشافى .. لا يحاول التوفيق بين الحداثة الغربية والإسلام .

٥ - لا يقنع باستيراد الإجابات الغربية الجاهزة على الأسئلة التى يطرحها الواقع ، ويتسم بأنه خطاب شامل ، فعلى المستوى الجماهيرى يطرح شعار: « الإسلام هو الحل » وغيره من الشعارات .

٦ - الخطاب الإسلامى - نتيجة انفتاحه على الغرب - نجده قادرا على الاستفادة بشكل خلاق منها دون أن يستوعب فيها .

(١) الشرعية السياسية فى الإسلام مصادرها وضوابطها ص ١٧٣ - ١٧٤ .

٧- الخطاب الجديد بانفتاحه على المنظومة الغربية يدرك أبعادا كان من الصعب إدراكها دون هذا التفاعل « العلاقات الدولية ، الكوكبية ، البعد الكونى فى الظواهر المحلية ، خطورة الإعلام والدولة المركزية ، وزيادة وقت الفراغ .. إلخ » .

٨- اكتشف الخطاب الجديد أن الانفتاح على الحداثة الغربية ودراساتها بشكل نقدي خلاق ، قد يفيد فى تنمية الوعي النقدي .

٩- يدرك الخطاب الجديد أن العلوم الإنسانية ليست علوما دقيقة عالمية محايدة - كما يدعى البعض - بل إنها تحتوى على تحيزات إنسانية عديدة . ويحاول تأسيس علوم إنسانية لا تستبعد الإنسان ، ومن ثم هى مختلفة من منطلقاتها وطموحاتها ومعاييرها عن العلوم الطبيعية ، ولا تزعم أنها محايدة منفصلة عن القيمة ، بل تعبر عن المنظومة القيمية الإسلامية ، وهذه هى « إسلامية المعرفة ».

١٠- ويدرك الخطاب الجديد ما يسمى « العلم من منظوره الجديد » وهو علم يحتوى على مفاهيم مثل: اللا تحد .

١١- ويدرك أن مفردات المعجم الغربى ليست جزءا من معجم لغوى وحسب ، وإنما جزء من معجم حضارى متكامل .

١٢- ومن أهم ثمرات الانفتاح النقدي على الغرب ، إدراك تركيبة مقولة العقل ، والتناقضات الكامنة فيه . فكلمة « العقل » فى المنظومة الإسلامية لها معنى محدد .

١٣- يدرك الخطاب الإسلامى الجديد قضية انفصال العلم والتكنولوجيا والإجراءات الديمقراطية عن القيمة والفائدة الإنسانية ، ويحاول حل هذه الإشكاليات .

١٤- يدرك الخطاب الإسلامى الجديد المكون الحضارى فى الظواهر- السيارة - الساندويتش^(١) - الهامبرجر .. التى تبدو بريئة تماما ، وحلالا بشكل قاطع - ولا غبار عليها من الناحية الدينية المباشرة مرتبطة برؤية للمكون تقف على طرف النقيض من الرؤية الإسلامية للكون ، وهذا ما يدركه الخطاب الجديد .

١٥- يتضح إدراك الخطاب الإسلامى الجديد لأهمية المكون الحضارى فى تقبله للفكرة القومية ولا يوجد مبرر للمواجهة مع الحركات القومية ذات التوجه العلمانى ، فهو يقبل التنوع الحضارى داخل إطار الوحدة الإسلامية العالمية .

١٦- يدرك الخطاب الجديد تماما مشكلة البيئة ، وأن بعض مفاهيم مثل: التقدم الدائم واللامتناهى - وهى مفاهيم محورية فى الحداثة الغربية - وهى مفاهيم معادية للطبيعة وللإنسان وللحدود ، وفى نهاية الأمر (الله) فهى مفاهيم كافرة. وهنا يأتى البحث الدائم للخطاب الجديد عن مناهج جديدة فى الإدارة . وعن نماذج جديدة فى تطوير الدولة . ولعل من أهم القضايا التى تشغل الخطاب الجديد هى نظرية التنمية .

١٧ - الخطاب الجديد مدرك للقضية الفلسفية الأساسية فى العالم الحديث ، وهى قضية النسبية المعرفية التى تؤدى إلى العدمية ، وهو يطرح فى مقابلها ما أسميه النسبية الإسلامية التى تذهب إلى أن ثمة مطلقا واحدا هو الله سبحانه وتعالى المنزه عن الطبيعة والتاريخ والزمان والمكان والبشر ، ومطلعية الإله تعنى: نسبية كل شىء آخر .

١٨- كل هذا يعنى : الإيمان بفكرة التدافع ، وأن العالم ليس فى حالة جمود وإنما فى حالة حركة ، والتدافع لا يعنى بالضرورة الصراع وإن أخذ هذا الشكل أحيانا ، وثمة إيمان أيضا بفكرة التداول فالثبات لله وحده ، ونحن لسنا بمفردنا فى هذا العالم .

(١) إن لم يدخلها لحم خنزير - أو لحم غير مهيا شرعيا .

١٩- فى الخطاب الجديد إدراكا لمشكلات ما بعد الحداثة والتى تبتدى فى شكل الهجوم على كل النصوص الإنسانية المقدمة ، بحيث يتحول القرآن الكريم - على سبيل المثال - إلى نص تاريخى ، أو تاريخانى كما يقولون ... إلخ .

٢٠- إن ثمة محاولة لاكتشاف مقولات تحليلية وسطية تميز الخطاب الإسلامى عن الخطاب الحداثى الغربى الذى يتسم بالتأرجح الشديد بين قبضتين متنافرتين . فالغربى يطلب من المرء إما اليقين الكامل أو الشك الكامل إما أن يكون هناك عقل مطلق أو اللاعقل على الإطلاق . فيما يحتوى الخطاب الإسلامى الجديد على إمكانية وجود الفراغات ، أو إمكانية التعددية ، وإمكانية ألا يكون اليقين مطلقا وألا يكون الشكل نهائيا ، فهناك ما بينهما من الاختلاف والتمايز الفروق الكثيرة .

٢١- إن الخطاب الإسلامى فى المجتمعات الإسلامية التقليدية هو الشريعة^(١) فالشريعة لا تزال هى الخطاب القديم والجديد .

٢٢- نظرا لعزل الشريعة عن واقعنا السياسى والاجتماعى أصبحنا نراها كما لو كانت مجموعة من الأحكام والآراء غير المترابطة ، ولكن عملية توليد الإجابات تتطلب إدراك ترابط أجزاء الشريعة وتكاملها ، وإدراك أنها تعبر عن رؤية للكون ، وهذا ما يحاول أن ينجزه الخطاب الجديد .

٢٣- من السمات الأساسية التى تسم الخطاب الإسلامى الجديد إدراكه لقضية السلطة وآلياتها المتعددة المتداخلة ، وعلاقة الواقع المحلى بالعلاقات الدولية ، كما يدرك الخطاب الجديد مدى تركيبة الدولة الحديثة وتغولها ومقدرتها على الهيمنة والتغلغل حتى فى حياة الإنسان الخاصة ، مع إدراك قوة أجهزة الدولة الحديثة: الأمن ، الإعلام ، التعليم ، الثقافة . وإعادة كتابة التاريخ وإسباغ القدسية اللامحدودة على الحاكم ومن يقرب منه... إلخ .

٢٤- الخطاب الإسلامى الجديد ونظرا لشموله واهتمامه بالجانب الحضارى

(١) انظر مقدمات هذا الكتاب عن أصول ومصادر الخطاب الإسلامى .

وبرؤيته للكون يولى اهتماما كبيرا للعنصر الجمالى والفنى ، فلا يكتفى بمقولتى: حلال وحرام ، وإنما يحاول أن يطور رؤية شاملة للفنون الإسلامية تستند إلى الرؤية الإسلامية للكون .

٢٥- ومن أهم جوانب الخطاب الإسلامى الجديد قراءة التاريخ ، فثمة رفض لفكرة التقدم الخطى اللانهائى ، ورفض للمفاهيم الخطية الواحدة أو ما يعرف بالإنكليزية بـ (Unilinear) التى تفترض وجود نقطة نهائية واحدة وهدفا واحدا يتحرك نحوه التاريخ البشرى بأسره ، الأمر الذى يفترض ضرورة رؤية تواريخ البشر من خلال منظار واحد ، والحكم عليها من خلال معيار واحد . ثم يضرب مثالا بدراسة « الصوفية » ويورد بعد ذلك أسماء علماء أجلاء من حملة التاريخ الإسلامى الجديد فى مختلف أصقاع العالم ويقول: ولا شك أن هناك الغزاة الآخرين داخل وخارج العالم العربى يساهمون فى تشكيل الخطاب الجديد ، ويلاحظ أن كثيرا من المثقفين من أعضاء الأقليات الإسلامية فى الغرب بدؤوا يساهمون بشكل فعال فى هذا الخطاب الجديد وهم لا يكتبون بالعربية ، ولكن إسهاماتهم مبدعة لأقصى حد ويمكن أن نذكر فى هذا المضممار المفكر الباكستانى « المقيم فى السويد » بارنيز منظور والمؤسسة الإسلامية فى ماركفيلد ببريطانيا.

ولعل المطلوب الآن أن نعمق إدراكنا للطروحات الأساسية لهذا الخطاب الجديد ، وأن نقوم بعملية تكثيف معرفى من خلال حصر أسماء الدعاة له وعناوين ما كتبوا من دراسات ، والله أعلم ^(١) .

تعليقات حول الخطاب الإسلامى الجديد:

نورد فيما يلى بعض الآراء والأفكار التى طرحت حول ورقة معالم الخطاب الإسلامى الجديد للدكتور عبد الوهاب المسيرى . وتأتى أهمية هذه التعليقات والأفكار من كون أصحاب رأى فيه قد سمعوها مباشرة من صاحبها ،

(١) الشرعية السياسية فى الإسلام مصادرها وضوابطها، ص ١٧٤ - ١٨٨ بتصرف شديد .

وعاشوا مرارة العرض والإلقاء ، والتفاعلات التى لها بعض التأثير من المحاضر على سامعيه ، ونحن قرأنا الخطاب بعد سنوات من وقوعه أو عرضه ، ولذلك فإن حرارة وتأثير التعليقات تختلف تماما بيننا كقراء وبينهم كسامعين ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن أصحاب الرأى والتعليق هم من أساطين المفكرين الإسلاميين والدعاة للإسلام ، ولهم فى حياتهم تجارب على اختلافها تأتى نتائجها مقاربة بأنهم جميعا من الغرباء ، أو الذين يعيشون فى أوطانهم غرباء تحت رقابة وخطر عيون أمن بلادهم الذين لا يحصون عليهم أنفاسهم فقط ، ولكن يحصون عليهم حتى ما يحول فى خواطرهم .

ومن جهة ثالثة ، فإن هؤلاء من منظرى سبل الدعوة فى هذا العصر ، ومنهم طروحاتهم وتجاربهم القوية والعميقة . وسأكتفى باختصار شديد لهذه الآراء مع اعتذارى للكاتب د . المسيرى ، وجميع من اختصرت تعليقاتهم فإن الاختصار لا شك معيب فى قضايا الفكر والرأى ، مهما كانت قوة المختصر وحسن اختصاره ، وهذه بعض الآراء لاستكمال الموضوع بشكله المطلوب بإذن الله تعالى :

د . مصطفى عبد العال :

أود فى البداية أن أقول بأننى استفدت كثيرا من ورقة الدكتور المسيرى معالم الخطاب الإسلامى الجديد والذى أعتقد أنه يبذل جهدا ذهنيا حقيقيا من أجل استنباط أمور جديدة .

ورغم استمتاعى الشديد بهذه الورقة ، إلا أنه لا يكفى من وجهة نظرى تحليل الخطاب الإسلامى ذاته فقط ، بل لا بد أن يشمل هذا التحليل أيضا ما ينتجه هذا الخطاب من مناخ لدى المستقبلين ، سواء كانوا مؤيدين له أو رافضين فهذا الخطاب لا يوجد فى فراغ ، بل هو خطاب موجه لبشر يتأثرون به بشكل أو بآخر ، سلبا أو إيجابا ، ويولدون بدورهم خطابات مؤيدة أو مضادة له ، أى خطابات تراه معقولا وقابلا للتحقيق على أرض الواقع ، أو خطابات ترى فيه

خطورة شديدة عليها وعلى مصالحها^(١).

كما أن من المفيد أيضا أن نتساءل: لماذا يضطر الدكتور المسيرى فى بداية ورقته إلى التأكيد على بدهيات ، مثل تعمدته تذكير قرائه بأن الخطاب الإسلامى السائد بإنتاجه وبذاته تسبب فى زعزعة بعض البدهيات؟ ومثال ذلك ما نراه من مسالك بعض المتحدثين باسم الخطاب الإسلامى الذين يتصرفون كما لو كان خطابهم مقدسا ، ولذلك يضطر الدكتور المسيرى فى مستهل ورقته لأن يذكر بأن الخطاب غير مقدس .

ومما يستحق التوقف عنده مما عرض له الدكتور المسيرى فكرة أن الخطاب الإسلامى وحتى البحث عن طبيعة نشأته فى الأساس حالة من ردة الفعل باتجاه الغرب ، أى : تجاه الحداثة وتجاه الحضارة الغربية .

وهنا يبرز التساؤل: لماذا لم يكن الخطاب الإسلامى خطابا منتجا ؟ أى أنه : بغض النظر عن رد الفعل ، وسواء كان هناك من يرى تكفير هذه الحضارة الغربية ونبذها ، ومن يرى أن فيها بعض المنجزات الحلال وبعض المنجزات الحرام ، لماذا لا يكون الخطاب منتجا ، أى : مشتملا على درجة من الذاتية ؟ إن انعدام هذه الإنتاجية الذاتية هو الذى دفع الدكتور المسيرى ، سواء فى تصنيفه المبدئى الأولى وهو من جزئيتين ، أو فى تصنيفه الثلاثى إلى اعتبار أن المسألة كلها نابعة من رد فعل تجاه ما يحدث من هذا الغرب أو من داخله^(٢) .

د . عبد الوهاب الأفتدى :

تشكل ورقة الدكتور المسيرى فى رأى أفكارا أولية فى هذه القضية المهمة والمعنية بتطور الفكر الإسلامى الحديث ، ويهمنى أن أشدد على الصفة الأولية لهذه الأفكار ؛ لأنها تحتاج إلى مراجعة شاملة حتى تفى هذا التطور وصفا . يفهم من تحليل المسيرى تحيزه الواضح إلى الخطاب الجديد ، فهو يرى الخطاب

(١) انظر الفصل الثالث : كيف ندعو الناس ، من هذا الكتاب .

(٢) انظر الفصل الثانى من هذا الكتاب: وسائل الخطاب الإسلامى .

الجديد أفضل وأكثر شمولاً ومرونة من الخطاب القديم .

أعتقد أن تصنيف الدكتور المسيرى الخطاب الإسلامى إلى قديم وجديد ، لا يفى تطور الفكر الإسلامى الحديث وصفا ؛ وذلك لأن أقل تصنيف ممكن للتيارات الإسلامية التى واجهت قضايا المسلمين فى العصر الحديث لابد أن يشتمل على أربعة أقسام أساسية . وهذا أمر مهم ، فيه إجابة على ما قاله الدكتور مصطفى عبد العال الذى تكلم عن الحداثة ورد الفعل تجاهها ؛ لأن التيارات الإسلامية الحديثة وكذلك كل التيارات السياسية والفكرية فى العالم الإسلامى ، إنما نشأت أساساً كرد فعل لتجربة الحداثة والاتصال بالغرب .

أرى أن الصنف الأول من الأقسام الأربعة يتمثل بردة الفعل الأولية والغريزية تجاه التجربة الحديثة التى أطلق عليها ردة الفعل المهدوية ، وهى لا تصف فقط ما حدث عندنا فى السودان من ثورة الإمام محمد أحمد المهدي ودعوته التجديدية ، ولكن يدخل فى إطارها أيضاً حركات أخرى نبتت من داخل التراث الإسلامى ، وكان العامل الروحى أو الروحانى فيها قوياً . منها على سبيل المثال : حركة عثمان بن فوديو فى غرب أفريقيا ، وحركة الشيخ محمد عبد الوهاب فى الجزيرة العربية ، وحركة الأمير عبد القادر الجزائرى فى الجزائر ، وحركة السنوسى فى شمال إفريقيا . كل هذه الحركات نبتت من داخل التراث الإسلامى دون أن تلقى بالاً للغرب ، واستلهمت التراث الروحى الإسلامى ، وكانت إحيائية ؛ بمعنى : أن هدفها الأساسى كان السير على نهج الأولين فى إحياء الدين من الداخل ومن خلال اللجوء إلى الرصيد الروحى لهذا الدين ^(١) .

أما النوع الثانى من الخطاب ، فهو « التوفيقى » الذى أشار إليه الدكتور المسيرى بعبارة الخطاب الإسلامى القديم ، وهو خطاب الإمام محمد عبده ، وجمال الدين الأفغانى ، ورشيد رضا .. إنه خطاب نابع من التراث الإسلامى ، ولكنه يرى فى الغرب والحضارة مزايا يريد أن يدخلها ويستفيد منها . لم تأت

(١) انظر القسم الثانى من الفصل الأول - الباب الثانى من هذا الكتاب .

ردة الفعل تجاه هذا الخطاب فى الستينيات من هذا القرن ، وإنما جاءت فى الأربعينيات أو الثلاثينيات فى خطاب آخر أسميه الخطاب الأصولى أو السلفى وهو خطاب الشيخ المودودى فى الهند وباكستان ، وأصبح فيما بعد فى الخمسينيات والستينيات خطاب الشهيد سيد قطب . هذا الخطاب الأصولى يرفض التوفيقية ولا يعود إلى المهدوية بمعنى العودة إلى الرصيد الروحى فقط ، وإنما يعود إلى الأصولية الفكرية معلنا أننا لدينا أصولاً إسلامية واضحة لا بد أن نرجع إليها ، فمثلاً : لا يقبل هذا التيار بالقومية لا اعتقاده بأنها فكرة جاهلية . كما يرفض هذا الخطاب الاعتذارية بمعنى : أن نبرر أنفسنا للغرب ؛ لأن لدينا تراثاً إسلامياً واضحاً نبدأ منه ، ونذهب معه إلى حيث أخذنا ، فإذا أخذنا إلى ما يضاد الغرب ذهبنا ، وإذا قال : إن هذه القومية كفر ، نقول : إنها كفر .

ظل هذا التيار مهيمنا إلى أن وصل ما يسميه الدكتور المسيرى بالخطاب الجديد . نشأ هذا الخطاب على استحياء فى مطلع الستينيات فى مصر ، وكان من رواده الشيخ محمد الغزالى ، والدكتور محمد فتحى عثمان ، ثم انتقل فى السبعينيات إلى السودان بريادة الدكتور حسن الترابى ، ثم انتقل فى الثمانينيات إلى تونس وماليزيا ، وأصبح له وجود فى الغرب أيضاً . هذا هو التيار الذى يتحدث عنه الدكتور عبد الوهاب المسيرى ، وأطلق عليه أنا اسم « تيار النضج » بمعنى : أن الحركات الإسلامية نضجت ، وأصبحت ذات رؤية شاملة .

أما الإمام حسن البنا :

فيصعب تصنيفه ؛ لأن قوته كانت تكمن فى محاولته الجمع بين كل هذه الأصناف . فإذا ما نظرت إليه من ناحية الروحانية والمهدوية تجد أنه أقرب إلى التصنيف المهدوى ؛ لأنه كان متصوفاً وكان يملك إشعاعاً ورصيداً روحياً ، وكان ذلك هو مصدر جاذبيته . وفى نفس الوقت كان « البنا » توفيقياً ، بمعنى : أنه لم يرفض القومية ولا الوطنية ولا الديمقراطية بل يسعى إلى التوفيق بينها وبين الفكرة الإسلامية . وكان أيضاً سلفياً ، بمعنى : أنه كان ينظر للعقيدة الإسلامية على أنها هى المرجع ، بمعنى : إذا اختلفت مع الغرب فهو يقف فى

صفها ، ولا يخرج بعيدا ، ولا يحاول التماس العذر أو إدخال شيء على حساب الأصول^(١) .

ما تميز به التيار الجديد - أو تيار النضج - أن لديه شيئا من هذه التوفيقية . فهو لا يقبل بالتشدد بالتفسير ؛ لأن سعة الأفق ، واتساع المعرفة والاطلاع تحد من نزوع الإنسان إلى إطلاق الأحكام المطلقة . فلئن كان بعض الناس فى الماضى يرى أن كل ما فى الغرب هو خير ، بينما يرى البعض الآخر أن كل ما فيه هو شر ، لا يتوقع من عالم مسلم يدرس فى إحدى الجامعات فى أمريكا أن يكون له نفس موقف عثمان بن فوديو مثلا ، الذى نشأ فى غرب إفريقيا ، ولربما لم يلتق بغربى واحد فى حياته . لا بد هنا من توضيح أن النضج يقصد به التكامل . فإذا كان الإمام الغزالى - رحمه الله - قد اطلع على الفلسفة الإغريقية وهضمها ونقدها ، ومع علمنا بأن الإمام الغزالى كان يصف نفسه بأنه ينتسب للإمام الشافعى .

وأنا أرى أن الإمام حسن البنا لو ظهر اليوم ، ونظر إلى هذا الفكر الذى هضم الفكر الغربى ، وقرأ كتابات هايرماس ، والتوبير ، وغيرهما ، ونقدهم من عل لاعتبر أن هذا فكرا نضجيا يختلف عن الفكر الذى لم يسمع بهؤلاء الأشخاص . هذه حقيقة موضوعية ، وهى أن الفكر الذى يكون قد استوعب غيره ، ونقل الإسلام إلى منصة جديدة هو فكر أكثر نضجا مما سبقه من فكر . فهذا نضج موضوعى ليس المقصود منه الحكم على الأشخاص الذين سبقوا ؛ لأن كل شخص ناضج بزمانه ومكانه .

إذن يحتاج الدكتور المسيرى إلى تصحيح الجانب المتعلق بالتصنيف حتى يستوعب كل التيارات الموجودة.

الأستاذ كمال الهلباوى:

أود أن أشاطركم بعض المشاعر ، لأن الحديث عن ورقة « معالم الخطاب

(١) انظر: الباب الأول من هذا الكتاب .

الإسلامى الجديد» للدكتور عبد الوهاب المسيرى ، يحتاج وقتا طويلا وينطلب قراءة متأنية ، ولربما استدعى نقاش الورقة بالتفصيل عقد عدة جلسات حتى تنضج الأفكار المطروحة فى كل نقطة من النقاط الخمس والعشرين التى أثارها الدكتور المسيرى ، وأقل ما يقال فى ذلك : إننا بحاجة إلى تقديم شواهد من الواقع ومن الفكر تؤيدها أو تثبت عكس ما ذهب إليه من تحديد ملامح الخطاب الإسلامى المعاصر .

لقد ارتبط التطور الفكرى فى الخطاب الإسلامى - ولا يزال - بأوعية تنظيمية كثيرة لا أظن أن الدكتور المسيرى خبرها خبرة جيدة ، وذلك لأن البيئة التى عاش فيها الدكتور المسيرى بيئة فكرية متميزة ، فيها مفكرون متميزون من أمثال المستشار طارق البشرى ، أو السيد دسوقى حسن ، أو فهمى هويدى ، أو الشيخ الغزالى ، أو الشيخ القرضاوى وهى بيئة إسلامية راقية . ولذلك أقترح أن نخضع الورقة للاختبار حتى ندرك صلابة ما جاءت به من أفكار ، ومدى صحة ما نسبته الدكتور المسيرى نفسه للتيار الإسلامى من سمات .

يتمثل الاختبار الذى اقترحه بإجراء ما يشبه الاستفتاء بين الجمهور الذى يرتاد المسجد الذى كان يصلى فيه الشيخ عبد الحميد كشك - رحمه الله - للنظر فى هذا النموذج من العقلية الإسلامية السائدة فى مثل هذه البيئة وأقترح أن نجرب استفتاء مشابها فى مواقع متعددة على مجموعات إسلامية مختلفة ، سواء كانت إخوانية أو جهادية أو سوى ذلك من الجماعات الإسلامية ، ولو أن بيئة بيشاور فى أفغانستان كانت لا تزال موجودة بشكلها الذى عهدناه ، لأمكن أيضا أن نجرب فيها استفتاء مشابها ، ولكن حتى إذا كانت هذه البيئة قد انتهت إلى حد بعيد ، فأنا أعتقد أن أية بيئة مماثلة مما تعانى من نفس المشكلات ستفرز نفس النتائج . وهذه وغيرها ستمنح المسيرى فرصة لإعادة النظر فى فرضياته .

أعتقد أن الخطاب الذى تكلم عنه الدكتور المسيرى بإعجاب شديد ، واعتبره نقلة نوعية فى الخطاب الإسلامى ، يفتقد إلى رؤية كانت موجودة فى السابق وبشكل أوضح فيما اعتبره خطابا قديما . ولربما كان السبب فى ذلك أن

أصحاب الخطاب القديم كانوا يواجهون التحدى الاستعمارى . ففى حالة عثمان بن فوديو ، الذى كان مقره مدينة سكوتو فى نيجيريا. أطلقت كلمة سكوتو على هذه المدينة ؛ لأنها صكت أبوابها أمام الإنجليز . كان هناك واقع استعمارى تعامل معه عثمان بن فوديو- رحمه الله - وواقع آخر تعامل معه المهدي ، وواقع تعامل معه السنوسى ، وآخر تعامل معه الجزائرى ، وآخر تعامل معه حسن البنا . ولذلك أظن أن من المفيد أن يستوعب الدكتور المسيرى هذا الأمر^(١) .

الدكتور بشير نافع :

إن الدكتور المسيرى هو أستاذنا جميعا . ولا شك أن ورقته التى نحن بصدد دراستها تعتبر تطورا للمداخلة التى قدمها فى ندوة الشريعة أثناء الصيف . لدى فى البداية ملاحظات شكلية وسريعة أود أن ألفت الانتباه إليها . فعبد الوهاب المسيرى مراقب مهم ليس فقط للإسلام المعاصر ، وإنما مراقب للعالم فى حالة الإنسان ككل . وهو أيضا رجل مبدع وصاحب فكر . أظن والله أعلم أن الملامح فى الورقة غير واضحة تماما بين معالم الخطاب الإسلامى الجديد ومعالم رؤية عبد الوهاب المسيرى للعالم .

أقصد أن هناك جزءا غير بسيط من المعالم التى يتحدث عنها الدكتور المسيرى للخطاب الإسلامى الجديد هى ما يؤمن به الدكتور المسيرى شخصا ، أو ما يجب للخطاب الإسلامى أن يتحلى بها . وليست بالضرورة من السمات الأساسية التى يتبناها قطاع واسع من قادة الرأى ، والطلاب ، وأصحاب الفكر فى العالم الإسلامى فى اللحظة الراهنة . هذه مسألة أرجو أنه ينتبه لها ؛ لأن جزءا كبيرا من النقاط التى طرحها فى ورقته يصعب أن أجد شواهد لها ، فلو أننى أردت أن أضع هامشا لكل نقطة من هذه النقاط ، فلن أجد فى الكتابات الإسلامية المعاصرة ما يؤيدها جميعا .

(١) الشرعية السياسية فى الإسلام مصادرها وضوابطها ص ٢١٦ - ٢١٨ بتصرف .

ويتابع الدكتور بشير نافع آراء الدكتور المسيرى الواحدة تلو الآخر فى تسلسل متدرج متوافق حول النقاط ومسألة التصنيف ، ومسألة النظر إلى الحركات الإسلامية ومشكلة التقسيم ، وحول الإصلاحية والتوصيف ، ويقترح الدكتور نافع للخروج من هذه المعضلة بإعادة قراءة التاريخ على المستويين : قراءة رأسية ؛ بمعنى : إعادة قراءة التاريخ ككل ، وقراءة أفقية ، بمعنى : إعادة تصور اللحظة التاريخية المعاصرة ، أى : علينا أن نقرأ العالم ككل ، وليس العالم فى مكان واحد .

علينا أن نرى التعقيد الموجود فى الحركة الإصلاحية التى لم تكن مجرد مشروع للتوفيق بين الإسلام والغرب . لقد قامت الحركة الإصلاحية على ثلاث قواعد فكرية أساسية هى : التوحيد والعقل والاجتهاد . والتى شن من خلالها الإصلاحيون هجوماً واسع النطاق على تراث الأشعرية وعلى تراث فلاسفة اليونان ، وعلى الصعود الصوفى ، الذى استمر لأكثر من خمسة قرون ، ابتداءً من القرن الثامن عشر ، وهيمن هيمنة شبه شاملة على العالم الإسلامى ، وعلى الاستبداد أيضاً . كل من هذه القواعد الثلاث : التوحيد والعقل والاجتهاد ، لم يكن مجرد أفكار أو مجرد محاولات لبناء فلسفة ، وإنما كانت بالنسبة للإصلاحيين والإسلاميين برامج اجتماعية وسياسية ، بما فى ذلك ما يتعلق بالدولة وعلاقة الدولة بالناس ، وما إلى ذلك .

وأخيراً: أرى أنه لا بد من باب الإنصاف ، التذكير بأن الدكتور المسيرى لم يتكلم عن معالم الخطاب الإسلامى المعاصر بكل أطيافه . فهو لم يقصد قراءة الخارطة الإسلامية . ولم يقصد التطواف على مسجد الشيخ كشك ، وعلى كل ما هو موجود فى الساحة الإسلامية ، وإنما أراد أن يقول : أن هناك خطاباً إسلامياً جديداً - هو جزء من خطاب عام - حاول فى ورقته أن يحدد معالمه ^(١) .

(١) الشرعية السياسية فى الإسلام مصادرها وضوابطها ص ٢١٨ - ٢٢٧ بتصرف .

الشيخ راشد الغنوشى :

أرى فى الورقة إثارة وتجديدا حقيقيا . ولذلك نالت كل هذه التعليقات ، وفجرت وستفجر كثيرا من التأملات ؛ لأن فيها تجديدا . لقد ملك المسيرى القدرة على أن ينظر إلى الساحة من علو . أى : أن يحيط واقعنا أو جزءا من واقعنا بنظرة شاملة . والحقيقة هى أن أمتنا تحتاج إلى مثل هذا العقل الناضج الذى يستطيع رؤية الوحدة ضمن الكثرة ، ولا يقرأ ضمن تعدد الواقع إلا خيوطا ناظمة فيه .

يمكن أن ينتقد المسيرى بأن ورقته فيها بعض نزوع توجيهى ؛ بأنه يريد أن يوجه التاريخ . فهو ليس ملاحظا مراقبا محايدا وإنما هو طرف . ولا شك أنه يصعب على الإنسان أن يكون إزاء التاريخ ، وخاصة تاريخ أمتة محايدا . فهو لا يتناول مادة طيبة ، بل يتناول قضايا إنسانية إستراتيجية . كل قراءة للتاريخ - ولا يقتصر ذلك على قراءة المسيرى - هى صناعة للتاريخ ، وليست مجرد كاميرا محايدة تلتقط ما حدث ، وكل تفسير للماضى هو فى الحقيقة صناعة جديدة للمستقبل ، إنه مشروع للتغيير .

يمكن أن نتساءل حول نقاط التجديد التى أشار إليها ، ونقول : ما حجمها فى الفكر الإسلامى . يمكن أن يكون المسيرى قد ضخّم بعض المظاهر ، كأن يأتى بنص واحد فى الفكر الإسلامى فيصوره كما لو كان ركنا من أركان التجديد . ولكن هناك حقيقة لا ينبغى أن نتجاهلها ، وهى أن كل عمل استيعابى وكل عمل تقنيى لا بد أن يستند إلى قدر من الوقائع .

وإذ نجد المسيرى يتحدث الآن عن ملامح فكر تجديدى . فإن ذلك يعنى أن الفكر الإسلامى - مهما صغرناه - قد حقق قدرا من التجديد ، سمح لمفكر أن يستخرج معالمة . وهذا يعنى بالتالى : أن المسيرى يحمل لنا بشرى مفادها : أن مولودا جديدا بصدد القدوم . وأن أمتنا - رغم الخطام والكوارث التى تمر بها - ليست عقيما - وإنما فيها مواليد جدد يبشرون بخير ، ومن هنا ، فإننى أرى أهمية هذا النصر التجديدى .

وبهذا ينتهى الحديث عن هذا الموضوع المتعلق بفكرة هذا الكتاب - الورقة التى ألقىت فى مؤتمر يضم نخبة طيبة من مفكرى العالم الإسلامى ، ثم تعليقات هؤلاء المفكرين حول هذه الورقة .

وإننى لأرجو أن أكون قد وفيت الحديث فى هذا الموضوع ، وقبل أن تقع عينى على هذا البحث والتعليقات ، وأرجو أن يجد القارئ جوابا على التساؤلات الكثيرة التى وردت فى تعليقات السادة المناقشين والمتحدثين ، ولقد أشرت إلى بعض العناوين المطلوب الرجوع إليها ، لتجيب على الاستفسارات والتساؤلات الكثيرة التى وردت أثناء التعليق والمناقشة . والكمال لله وحده ، وإنما نحن عبيد مقصرون خطأؤون وخير الخطائين التوابون ، والعفو من الله نرجو عن تقصيرنا ، وهو المستعان ومنه التوفيق .

المراجع

* القرآن الكريم .

- ١- كتب الصحاح : صحيح البخارى - صحيح مسلم .
- ٢- كتب السنن : سنن أبى داود - سنن النسائى - سنن الترمذى - سنن ابن ماجه .
- ٣- المسانيد: مسند الإمام أحمد - مسند أبى يعلى .
- ٤- إسماعيل بن محمد العجلونى الجراحى : كشف الخفا ومزيل الإلباس ، مؤسسة الرسالة ، ط ٣ ، ١٩٨٣ م .
- ٥- أحمد مهند بركات الشوابكة : حركة الجامعة الإسلامية ، دار المنار ، عمان ، ١٩٨٤ م .
- ٦- ابن منظور : لسان العرب - إعداد يوسف خياط ، دار لسان العرب ، بيروت .
- ٧- إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط ، دار الدعوة ، إستانبول .
- ٨- أبو زكريا محمى الدين بن شرف النووى : المجموع ، دار الفكر ، بيروت .
- ٩- ابن قيم الجوزية: زاد المعاد فى هدى خير العباد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٥ م .
- ١٠- أبو الحسن على الحسنى الندوى: من مقدمة كتاب حياة الصحابة ، يوسف الكاندهلوى ، دار المعرفة ، بيروت .
- ١١- أساتذة من جامعة الإمارات العربية المتحدة : دراسات فى المجتمع الغربى ط ١ ، ١٩٨١ م .
- ١٢- ابن باديس : حياته وآثاره ، إعداد وتصنيف : عمار الطالبي ، دار مكتبة الشرق الجزائرية ، ١٣٨٨ هـ .
- ١٣- إسحاق موسى الحسينى : الإخوان المسلمون ، بيروت ، ١٩٥٠ م .
- ١٤- ابن رجب الدمشقى : جامع العلوم والحكم ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط ٧ ، ١٩٩٧ م .

- ١٥- ابن هشام : السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرون .
- ١٦- جمال الدين بن رشيد خوجا أوغلو قبلان : منشورات دار الخلافة ، كولونيا ، ألمانيا ، وكتب أخرى صادرة عن الدار منها :
 - خلافة دولتي عمومي رياست مقامى .
 - كلما زادت البشرية طغيانا أذاقها الله العذاب شيئاً فشيئاً .
 - رسائل أخرى .
- ١٧- حسن البنا : مجموعة رسائل حسن البنا ، المؤسسة الإسلامية للطباعة النشر والصحافة ، بيروت ، ١٩٨٣ م ، منها :
 - رسالة التعاليم .
 - نحو النور .
 - الرسائل الثلاث .
- ١٨- تقى الدين النبهانى : كتب الحزب المعتمدة ودستور الدولة الإسلامية .
- ١٩- الأحاديث القدسية ، دار المنار .
- ٢٠- الإمام الخميني ، الدولة الإسلامية .
- ٢١- ريتشارد ميتشل : ترجمة : عبد السلام رضوان ، بيروت ، ١٩٧٨ م .
- ٢٢- الزركشى : إعلام الساجد بأحكام المساجد .
- ٢٣- سلمان فيض : فى غمرة النضال .
- ٢٤- سيد قطب : فى ظلال القرآن - « تفسير » ، دار الشروق ، ط ٩ ، بيروت
- ٢٥- شهاب الدين أحمد عبد ربه : العقد الفريد ، منشورات دار الهلال ، ط ١ ، ١٩٨٦ م .
- ٢٦- شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوى : المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشهورة على الألسنة ، دار الهجرة ، بيروت ، ١٩٨٦ م .

- ٢٧- صاق آل بايراق : السائرون والمنفيون فى سبيل تطبيق الشريعة .
- ٢٨- طارق البشرى وآخرون : « الحوار الدينى - القومى » ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط ١ ، ١٩٨٩ م .
- ٢٩- عبد المنعم الفلاحى : أسرار الكفاح الوطنى فى الموصل .
- ٣٠- عمر عبيد حسنة : مراجعات فى الدعوة والفكر والحركة ، المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، هريندن ، فرجينيا ، ١٩٩١ م .
- ٣١- عبد القادر عودة : الإسلام وأوضاعنا السياسية ، ط ٦ ، ١٩٧٦ م .
- ٣٢- عبد الحميد بن باديس : تفسير ابن باديس ، دار الكتاب الجزائرى ، ١٩٦٤ م .
- ٣٣- على أبو الفتوح: الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية (خواطر فى القضاء والاجتماع) مطبعة المعارف ، ١٣٣١ هـ .
- ٣٤- عبد القديم زلوم : كيف هدمت الخلافة .
- ٣٥- عزام التيممى : الشريعة السياسية فى الإسلام : مصادرها وضوابطها ، ليبرتى للدفاع عن الحريات فى العالم الإسلامى ، لندن ، ١٩٩٧ م .
- ٣٦- عبد الكريم زيدان : أصول الدعوة ، مؤسسة الرسالة ، مكتبة البشائر ، ط ٤ ، ١٩٩٠ م .
- ٣٧- فتحى يكن : المناهج التغييرية عند مفكرى الإسلام خلال القرن العشرين ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٨ م .
- ٣٨- فهمى جدعان ، دكتور : أسس التقدم عند مفكرى الإسلام فى العالم العربى الحديث ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت .
- ٣٩- الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، دار الكتب العلمية ، ط ١٩٩٣ م .
- ٤٠- قانون ٤٩ (قانون العار) ، الجمهورية العربية السورية ، ١٩٨٢ م .
- ٤١- مالك بن نبي : نحو كومونولث إسلامى ، ترجمة : عبد الصبور شاهين ، القاهرة .

- ٣٢٠ **الخطاب الإسلامى: الواقع وآفاق المستقبل**
- ٤٢- محمد الطاهر بن عاشور: أصول النظام الاجتماعى فى الإسلام، تونس، ١٩٦٤ م.
- ٤٣- محمد عمارة: معالم المنهج الإسلامى، اللجنة العليا للدعوة بالأزهر الشريف والمعهد العالمى للفكر الإسلامى، فرجينيا.
- ٤٤- مصطفى طوران: أسرار الانقلاب العثمانى.
- ٤٥- محمود صالح منسى: حركة اليقظة العربية فى الشرق الآسيوى، القاهرة ١٩٧٢ م.
- ٤٦- محمد كرد على: مذكرات محمد كرد على، مجلة المجتمع، الكويت.
- ٤٧- مراد هوفمان: الإسلام عام ٢٠٠٠ م، دار الشروق، ط ١٩٩٥ م.
- ٤٨- محمد على الشوكانى: فتح القدير «تفسير»، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب دمشق.
- ٤٩- محمد بن على الشوكانى: نيل الأوطار، دار الكتب العلمية، بيروت - ١٩٨٣ م.
- ٥٠- مجيد خدورى: الاتجاهات السياسية فى العالم العربى، بيروت.
- ٥١- محمد الغزالى: خلق المسلم، دار العلم، دمشق، ط ١١، ١٩٩٤ م.
- ٥٢- محمد فؤاد عبد الباقى: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان: دار الفحاء، دمشق ط ١٩٩١ م.
- ٥٣- محمد فؤاد عبد الباقى: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٤ م.
- ٥٤- محمد الصادق عرجون: محمد رسول الله ﷺ، دار القلم، دمشق ١٩٨٥.
- ٥٥- نجات فتحى صفوت: الطرق فى مذكرات الدبلوماسيين الأجانب.
- ٥٦- الندوة العالمية للشباب المسلم، الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب ط ١٤٠٩ هـ.

- ٥٧- وهبة الزحيلي - دكتور : الفقه الإسلامي وأدلته ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٩ م
- ٥٨- يوسف الحكيم : بيروت ولبنان في عهد آل عثمان .
- ٥٩- يحيى بن أبى بكر العامرى : الرياض المستطابة ، مكتبة المعارف ، بيروت - ١٩٧٦ م .
- ٦٠- ياسين غضبان : حاضر العالم الإسلامى ، ط ٢ ، ١٩٩٧ م ، مؤسسة الرسالة .
- ٦١- ياسين غضبان : نساء فى حياة الأنبياء ، ط ١ ، ٢٠٠٤ م ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع .

مجلات :

- ١- مجلة المجتمع الكويتية ، ١٩٩٧ م ، العدد ١٣٢٢ ، الكويت ، الصفا .
- ٢- مجلة نهضة العرب ، (باريس) ، ١٩٠٩ م .
- ٣- مجلة المقتطف - أكتوبر ١٩٠٩ م .